تفسير سورة القلم

دراسة تحليلية

د / إسماعيل إسماعيل عبد المقصود

تفسير سورة القلم : دراسة تحليلية ——— ١٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، والصلاة والسلام على أفضل مبعوث بأكرم رسالة كانت فى مبناها ومعناها رحمة للعالمين .

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، والصلاة والسلام على أفضل مبعوث بأكرم رسالة كانت فى مبناها ومعناها رحمة للعالمين .

وبعد : فهذا تفسير تحليلى لسورة القلم راعيت فيه ما ارتاده كبار المفسرين فى مناهجهم لتفسير كتاب الله - عز وجل -

وبعد : فهذا تفسير تحليلى لسورة القلم راعيت فيه ما ارتاده كبار المفسرين فى مناهجهم لتفسير كتاب الله - عز وجل -

وسورة القلم - على قصرها قد عالجت قضايا كبيرة فى العقيدة الإسلامية ، وتحدثت عن الرسالة ، وقصص الامم السابقة ، والكلام عن الآخرة وشدائدها وأهوالها ، ولكن المحور الأساسي الذى تدور حوله هذه السورة المباركة : إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم - والتنويه بشأن القرآن الكريم وبشأن من نزل عليه القرآن - صلوات الله وسلامه عليه - إذ القرآن هو المعجزة الخالدة على مر الأيام والدهور حتى يرث الله الأرض ومن عليها " قضى بذلك الحس والعيان ، حتى لم يقبل لوضوحه إلى زيادة فى العرفان :

وسورة القلم - على قصرها قد عالجت قضايا كبيرة فى العقيدة الإسلامية ، وتحدثت عن الرسالة ، وقصص الامم السابقة ، والكلام عن الآخرة وشدائدها وأهوالها ، ولكن المحور الأساسي الذى تدور حوله هذه السورة المباركة : إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم - والتنويه بشأن القرآن الكريم وبشأن من نزل عليه القرآن - صلوات الله وسلامه عليه - إذ القرآن هو المعجزة الخالدة على مر الأيام والدهور حتى يرث الله الأرض ومن عليها " قضى بذلك الحس والعيان ، حتى لم يقبل لوضوحه إلى زيادة فى العرفان :

وليس يصح فى الأسماع شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل (١)

وردت على مشركي قريش أبلغ رد ، وأفحمتهم أيما إفحام فبرأت ساحة المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - فما رموه به بالجنون ، ومدحه الله بأبلغ مدح وأفصحه فقال : [ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجراً غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم] (٢)

وردت على مشركي قريش أبلغ رد ، وأفحمتهم أيما إفحام فبرأت ساحة المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - فما رموه به بالجنون ، ومدحه الله بأبلغ مدح وأفصحه فقال : [ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجراً غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم] (٢)

صلوات الله وسلامه عليه - وعلى النبيين ، آل كل صحابتهم أجمعين ، التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، كلما ذكره الذاكرون . غفل عنه الغافلون .

صلوات الله وسلامه عليه - وعلى النبيين ، آل كل صحابتهم أجمعين ، التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، كلما ذكره الذاكرون . غفل عنه الغافلون .

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث ، أو، يجعله خالصا لوجهه - سبحانه - إنه سميع الدعاء .

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث ، أو، يجعله خالصا لوجهه - سبحانه - إنه سميع الدعاء .

د/ إسماعيل إسماعيل الربة

د/ إسماعيل إسماعيل الربة

مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم

مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم

بكلية الدراسات الإسلامية العربية للبنين بقنا

بكلية الدراسات الإسلامية العربية للبنين بقنا

---

(١) بستان العارفين للعالم الربانى الإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووي - تقديم وتعليق : عبد المعز عبد الحميد الجزوار - ص ٢٠ ، هدية مجلة الأزهر . ١٤٢١ هـ .

(٢) صدر سورة القلم .

تفسير سورة القلم

تمهيد بين يدي السورة :

من المتعارف عليه بين المفسرين عند تفسير سورة من سور القـــرآن الكريـــم أن يقدم المفسر تمهيدا بين يدى السورة المراد تفسيرها ليكون نبراسا للقارئ يسير على نوره لهذا التفسير

وقبل الشروع فى تفسير آيات هذه السورة المباركة امهد بامور خمسة فأقول وبالله - تعالى - التوفيق :

الامر الأول : تسمية سورة (ن والقلم)

الامر الثاني : مناسبة هذه السورة لما قبلها .

الامر الثالث : هل هذه السورة مكية أو مدنية ؟ وتحقيق القول فى ذلك .

الامر الرابع : عدد آيات السورة المباركة .

الامر الخامس : أغراض السورة المباركة .

والآن أبدأ فى بسط ما أجملته فأقول وبالله العون والتوفيق .

الامر الأول : تسمية (سورة ن والقلم)

سميت هذه السورة في معظم التفاسير وفى صحيح البخاري :" سورة ن والقلـــم " على حكاية اللفظين الواقعين فى أولها ، أي : سورة هذا اللفظ .

وترجمها الترمذى فى جامعه وبعض المفسرين سورة (ن) بالاقتصار على الحرف المفرد الذي افتتحت به مثل ما سميت سورة (ص) وسورة (ق) .[١]

وفى بعض المصاحف سميت (سورة القلم) وكذلك رأيت تسميتها فـــي مصحـــف مخطوط بالخط الكوفي فى القرن الخامس [٢]

---

[١] صحيح البخاري – كتاب التفسير – ٦٨ سورة (ن والقلم) بحاشية السندى (٢٠٧/٣) دار إحيـــاء اللغـــة العربية – فيصل عيسى البابى الحلبي – د/ت .

[٢] تفسير التحرير والتنوير – تأليف سماحة الأستاذ الامام محمد الطاهر بـــن عاشـــور (٥٧/١٤)ط: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – د/ت .

وقال بن تيمية : هي سورة " الخلق " الذي هو جماع الدين . [١]

الامر الثاني : مناسبة هذه السورة لما قبلها

لما أبهم الضال والمهتدى في آخر " الملك " والمسيء والمحسن فى العمل فى أولهما وختم بآية الماء المعين ، وردهم - سبحانه - إليه بعد شرادهم عنه بالاستفهام فى هذه الآية بما نبههم عليه من عجزهم وعجز كل ما يدعونه من دونه ، وإنه لا يقدر على الإتيان بذلك الماء الذى هو حياة الأشباح بعد ذهابه إلا من تمت قدرته فكان قادرا على كل ما يريد ، وكان لا يقدر على كل ما يريده إلا من كمل علمه الذى يحيى به ميت الأرواح فافتتح هذه السورة بكلمة البيان وهو اسم الحرف الذى هو آخر حروف تلك [٢]

وقال أبو حيان : إنه ذكر فيما قبل أشياء من أحوال السعداء والأشقياء ، وذكر قدرته الباهرة ، وعلمه - تعالى - الواسع ، وإنه - عز وجل - لو شاء لخسف بهم الأرض أو لأرسل عليهم حاصبا ، وكان ما أخبر به - سبحانه - هو ما أوحى به إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - فتلاه - عليه الصلاة والسلام - وكان الكفار ينسبونه فى ذلك مرة إلى الشعر ، ومرة إلى السحر ، ومرة إلى الجنون فبدأ - جل شأنه- هذه السورة الكريمة ببراءته - صلى الله عليه وسلم - مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون ، وتعظيم أجره على صبره على أذاهم ، وبالثناء على خلقه فقال - عز من قائل - [ن والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجراً غير ممنون . وانك لعلى خلق عظيم] [٣]

ويقول الامام الآلوسى - رحمه الله تعالى - :- " ومناسبتها لسورة الملك على ما قيل من جهة ختم تلك بالوعيد ، وافتتاح هذه به " .

---

[١] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - التفسير - (١/١٦) ط: إدارة المساحة العسكرية بالقاهرة - ١٤٠٤ هـ .

[٢] نظم الدر فى تناسب الآيات والسور للامام البقاعى (٢٧٢/٢٠) ط: دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة - الطبعة الأولى (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) .

[٣] البحر المحيط لأبى حيان (٣٠٧/٨) ط: دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة - الطبعة الثانية (١٣١٤هـ - ١٩٩٢م) .

وقال الجلال السيوطى فى ذلك : إنه - تعالى - لما ذكر فى آخر الملك التهديد بتغوير الماء استظهر عليه فى هذه بإذهاب ثمر أصحاب البستان فى ليلة بطائف طاف عليهم وهم نائمون فأصبحوا ولم يجدوا له أثرا حتى ظنوا إنهم ضلوا الطريق ، وإذا كان هذا فى الثمار وهى أجرام كثيفة فالماء الذى هو لطيف أقرب إلى الأذهان ، ولهذا قال - سبحانه - هنا [وهم نائمون . فأصبحت كالصريم] [١] وقال - جل وعلا - هناك : [إن أصبح ماؤكم غورا] [٢] إشارة إلى إنه يسرى عليه كما أسرى على الثمر فى ليلة . انتهى ولا يخلو عن حسن " [٣] .

الامر الثالث : مكية السورة ومدنيتها

لا سبيل لمعرفة المكى والمدنى فى القرآن الكريم إلا بالرجوع إلى أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - الذين شاهدوا اماكن الوحى ، وعاشوا أزمنته ، ووقفوا على جهاته وعلموا بالظروف والأحوال التى نزل عليها القرآن الكريم ، وشرفوا بصحبة النبى - صلى الله عليه وسلم - وصحبوا أنفاسه الطاهرة .

روى الواحدى بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - " اتقوا الحديث إلا ما علمتم فإنه من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار " [٤]

وإذا تتبعنا ما صح نقله عنهم من أثار فى نزول سورة " القلم " وجدنا روايات متعددة منها قال ابن عطية : هى مكية ، ولا خلاف فى ذلك بين أهل التأويل [٥]

---

[١] سورة القلم ١٩ ، ٢٠ .

[٢] سورة الملك ٣٠ .

[٣] روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للآلوسى (٢٢/٢٩) ط : مكتبة دار التراث - القاهرة - د/ت .

[٤] أسباب النزول للواحدى - خطبة الكتاب ص (٤) ط : مكتبة ابن مالك ١٤٠٠هـ .

[٥] المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز (٧٣/١٦) تحقيق المجلس العلمي بتارودانت ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

وأخرج النحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : نزلت سورة (ن والقلم) بمكة [١]

ونص ابن كثير والبيضاوى على مكيتها [٢] .

وقال القرطبي : سورة (القلم) مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر .

وقال ابن عباس وقتادة : من أولها إلى قوله تعالى : [سنسمه على الخرطوم] مكى، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى : [أكبر لو كانوا يعلمون] مدنى .

ومن بعد ذلك إلى : [يكتبون] مكي ، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى : [من الصالحين] مدني ، وما بقى مكي قاله الماروذى [٣] وفى الإتقان عن السخاوى في جمال القرآن : أن المدني منها من قوله : [إنا بلوناهم] إلى قوله : [لو كانوا يعلمون] ومن قوله :[فاصبر لحكم ربك] إلى قوله : [من الصالحين] فلم يجعل قوله :[إن للمتقين عند ربهم] إلى قوله تعالى : [فهم يكتبون] خلافا لما نسبه الماروذى إلى ابن عباس [٤]

ولعل الصواب فى ذلك القول بمكية سورة القلم لإنها تتناول ثلاثة مواضيع أساسية وهى :

أ- موضوع الرسالة ، والشبه التى أثارها كفار مكة حول دعوة محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم .

ب- قصة أصحاب الجنة (البستان) لبيان نتيجة الكفر بنعم الله - تعالى - .

ج- الآخرة وأهوالها وشدائدها ، وما أعد الله للفريقين : المسلمين والمجرمين ، ولكن المحور الذى تدور عليه السورة الكريمة هو موضوع : إثبات نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم [٥]

---

[١] الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى (٣٨٧/٨) ط : دار الكتب العلمية (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)

[٢] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٠/٤) ط : مكتبة التراث الإسلامي - سوريا - حلب ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م . وتفسير البيضاوى ٢٢٦/٨ ط : دار صادق ــ بيروت /د /ت .

[٣] تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٦٩٥٠/١٠) ط : دار الغد العربى - القاهرة ط١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

[٤] الإتقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطى (٤٦/١) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم مكتبة دار التراث - القاهرة - الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م) .

[٥] صفوة التفاسير - محمد على الصابونى (١٥٨٨/١٩) طبع على نفقة السيد حسن عباس الشربتلى .

هذا : وكما اختلف الرواة فى مكية هذه السورة ومدنيتها اختلفوا - كذلك - فى ترتيبها بين سور القرآن الكريم من ذلك :

ما أخرجه ابن الضريس عن ابن عباس قال : كانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما يشاء ، وكان أول ما نزل من القرآن الكريم [اقرأ باسم ربك] ثم نون ، ثم المزمل ، ثم المدثر [١] .

وهذه السور قد عدها - أيضا - جابر بن يزيد ثانية السور نزولا قال : نزلت بعد سورة [اقرأ باسم ربك] وبعدها سورة المزمل ، ثم المدثر .

والصواب حديث عائشة - رضى الله عنها - أن أول ما نزل سورة [اقرأ باسم ربك] ثم فتر الوحى ، ثم نزلت سورة المدثر ، وما فى حديث جابر بن عبدالله أن سورة المدثر نزلت بعد فترة الوحى يحمل على إنها نزلت بعد سورة [لقرأ باسم ربك] جمعا بينه وبين حديث عائشة - رضى الله عنها [٢]

الامر الرابع : عدد آيات السورة المباركة

اتفق العادون على عدها ثنتين وخمسين آية .

قال الخازن : وهى اثنان وخمسون آية ، وثلاثمائة كلمة ، وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا . [٣]

الامر الخامس : أغراض السورة المباركة

جاء فى هذه السورة الإيماء بالحرف الذى فى أولها إلى تحدى المعاندين بالتعجيز عن الاتيان بمثل سور القرآن ، وهذا أول التحدى الواقع فى القرآن اذ ليس فى سورة العلق ولا فى المزمل ولا فى المدثر إشارة إلى التحدى ولا تصريح .

---

[١] التحرير والتنوير (١٤/ ٥٨) .

[٢] فتح القدير - الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير - لمحمد بن على الشوكانى (٥/ ٢٦٦) ط : دار الفكر - د/ت .

[٣] تفسير الخازن (٢٩٣/٤) وتفسير القرطبي (١٠/ ٦٩٥) .

- وفيها إشارة إلى التحدى بمعجزة الامية بقوله : [والقلم وما يسطرون]

- وابتدئت بخطاب النبي - صلى الله عليه وسلم - تأنيسا له وتسليه عما لقيه من أذى المشركين وإبطال مطاعن المشركين فى النبى - صلى الله عليه وسلم .

- إثبات كمالات النبى - صلى الله عليه وسلم - فى الدنيا والآخرة وهديه وضلال معانديه وتثبيته وأكد ذلك بالقسم بما هو من مظاهر حكمة الله - تعالى - فى تعليم الإنسان الكتابة فتضمن تشريف حروف الهجاء والكتابة والعلم لتهيئة الامة لخلع رداء الامية عنهم وإقبالهم على الكتابة والعلم لتكون الكتابة والعلم سببا لحفظ القرآن .

- ثم أنحى على زعماء المشركين مثل أبى جهل والوليد بن المغيرة بمذمات كثيرة ، وتوعدهم بعذاب الآخرة وببلايا فى الدنيا بان ضرب لهم مثلا بمن غرهم عزهم وثراؤهم فأزال الله ذلك عنهم ، وأباد نعمتهم ، وقابل ذلك بحال المؤمنين المتقين وأن الله اجتباهم بالاسلام ، وأن آلهتهم لا يغنون عنهم شيئا من العذاب فى الدنيا والآخرة.

- ووعظهم بان ما هم فيه من النعمة استدراج واملاء جزاء كيدهم ، وإنهم لا معذرة لهم فيما قابلوا به دعوة النبى - صلى الله عليه وسلم - من طغيانهم .

- وختمت السورة الكريمة بامر الرسول - صلى الله عليه وسلم- بالصبر فى تبليغ الدعوة وتلقى أذى قومه ، وأن لا يضجر فى ذلك ضجرا عاتب الله عليه نبيه يونس - عليه السلام[1] .

قال تعالى : [فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم] الآيات .

وبعد ان مهدت بهذا التمهيد المتواضع أبدأ فى تفسير آيات السورة المباركة قال تعالى: [ن والقلم وما يسطرون]

[ن] حرف من حروف الهجاء التي فى أوائل السور القرآنية .

واختلف العلماء فيها على قولين :

---

[1] التحرير والتنوير (١٤/ ٥٨ وما بعدها) .

فقال جمهور العلماء : إنها تفسر ويتكلم فيها ، ونلتمس الفوائد التى تحتها ، والمعاني التى تتخرج عليها .

وقال الشعبى وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين : إنها سر الله فى القرآن ، وهى من المتشابه الذى أستأثر الله بعلمه ، ولا يجب أن يتكلم فيه لكن يؤمن بها ، وتمر كما جاءت

قل ابن عطية : والصواب ما قاله الجمهور ، أن تفسر هذه الحروف ، ونلتمس لها التأويل ولأنا نجد العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظما لها ووضعا بدل الكلمات التى منها الحروف منها كقول الشاعر :

بالخير خيرات وإن شرافا ... ولا أريد الشر الا أن تا

ولقول القائل :

فقلت لها : قفي ، قالت : قاف ... لا تحسبي أنا نسينا إلا يجاف

أراد: وان شرا فشر ، وأراد الا أن تشا فى البيت الأول

وأراد : فقالت : وقفت . فى البيت الثانى

والشواهد فى هذا المعنى كثيرة ، فليس كونها فى القرآن مما تذكره العرب فى لغاتها فينبغى إذا كان من معهود العرب أن نطلب تأويله ، ونلتمس وجهه [1]

هذا : والمتبع للسور القرآنية المفتتحة بهذه الحروف - حروف التهجى - يرى أن بعضها قد جاء على حرف واحد كما فى (ص ، ق ، ن)

ومنها ما جاء على حرفين وهى : (طه - يس - حم) فى مطلع : طه وياسين غافر وفصلت والزخرف ، والجاثية ، والأحقاف .

ومنها ما جاء على ثلاثة أحرف وهى : (الم) فى ستة سور : البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة) .

و (الر) فى خمس سور : يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر ، و (طسم) فى الشعراء والقصص .

ومنها ما جاء على أربعة أحرف وهو : (المر) فى الرعد و (المص) فى الأعراف.

---

[1] المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز (٨٢/١) .

ومنها ما جاء على خمسة أحرف (كهيعص) فى مريم ، (حم عسق) فى الشورى

هذا : والذي ترتاح إليه النفس أ، أرجح هذه الآراء هو كون تلك الحروف تبكيتا للمعاندين وتسجيلا لعجزهم ، وتدليلا على أن هذا القرآن ليس من كلام بشر ولكنه كلام رب العالمين[١]

قال الزمخشرى : وهذا القول من القوة والخلاقة والقبول بمنزل . [٢]

وروى الامام ابن كثير فى تفسيره هذا القول الراجح قائلا : " وقد حكى هذا المذهب الرازى فى تفسيره عن المبرد ، وجمع من المحققين ، وحكاه القرطبى عن الفراء وقطرب ، وقرره الزمخشرى فى كشافه ونصره أتم نصر .

وإليه ذهب ابن تيمية وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي ، وحكاه لى عن ابن تيمية[٣] .

وللمفسرين فى معنى هذا الحرف أقوال منها : –

– أن النون هو السمكة ، ومنه فى ذكر يونس : [وذا النون] [٤]

وهذا القول مروى عن ابن عباس ، ومجاهد ، ومقاتل ، والسدى .

ثم القائلون بهذا منهم من قال : إنه قسم بالحوت الذى احتبس يونس – عليه السلام – فى بطنه

ومنهم من قال : إنه قسم بالحوت الذى لطخ سهم نمروذ بدمه ، وأطلقوا عليه اسم البهموت .

قال الزاجر :

ما لى أراكم كلكم سكوتا ... والله ربى خلق البهموتا [٥]

---

[١] فيض الرحمن فى تفسير سورة آل عمران – د/ إبراهيم عبد الحميد سلامة (١/٢٦) ١٤٢٣هـ – ١٩٩٢م .

[٢] تفسير الكشاف للزمخشرى (١/٩٧) ط : دار الفكر – د/ت .

[٣] تفسير القرآن العظيم لأبن كثير (١/ ٣٨) .

[٤] سورة الأنبياء ٨٧ .

[٥] تفسير القرطبي الجامع لأحكام لقرآن (١٠/ ٦٩٥١) .

والقول الثانى : وهو أيضا مروى عن ابن عباس ، واختيار الضحاك والحسن وقتادة أن النون هو الدواة .

ومنه قول الشاعر :

إذا ما الشوق يرجع بى إليهم ... ألقت النون بالدم السجوم[١]

فيكون هذا قسما بالدواة والقلم ، فان المنفعة بهما بسبب الكتابة عظيمة فان التفاهم تارة يحصل بالنطق ، وتارة يتحرى بالكتابة .

والقول الثالث : أن النون لوح تكتب الملائكة ما يامرهم الله به فيه - رواة معاوية ابن قرة مرفوعا .

والقول الرابع : أن النون هو المداد التى تكتب به الملائكة [٢] .

وذكرت روايات كثيرة فى هذا الشأن ذكرها الامام ابن كثير والسيوطى منها :

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : [ن والقلم] قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " النون السمكة التى عليها قرار الأرض ، والقلم الذى خط به ربنا - عز وجل - القدر خيره وشره ، ونفعه وضره ، [وما يسطرون] قال الكرام الكاتبون ، وعم ابن عباس قوله : [ن] أشباه هذا قسم الله ، وهى من أسماء الله [٣]

وروى ابن كثير عن أبى نجيح ان ابراهيم بن أبى بكر أخبره عن مجاهد قال : كان يقال " النون " الحوت العظيم التى تحت الأرض السابعة .

---

[١] سجمت العين الدمع ، والسحابة الماء ، تسجمه سجما وسجوما وسجمانا وهو : قطران الدمع وسيلانه قليلا كان أو كثيرا ، وكذلك الساجم من المطر ، والعرب تقول : دم ساجم . (لسان العرب - جمال الدين بن منظور - مادة : سجم - ط : دار المعارف القاهرة - د/ت) .

[٢] مفاتيح الغيب - التفسير الكبير - للفخر الرازى (١٥/ ٦٤٣) ط : دار الغد العربى - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م . (وقد رد الامام الرازى على هذه الروايات بالبطلان ، وسوف أذكر رده على العقيب لى هذه المرويات) .

[٣] الدر المنثور فى التفسير بالمأثور (٦/ ٣٨٨) .

وقد ذكر البغوى - رحمه الله - جماعة من المفسرين أن على ظهر هـذا الحوت صخرة سمكها كغلظ السموات والارض ، وعلى ظهرها ثور له اربون الف قرن ، وعلى متنه الأرضون السبع وما فيهن ، وما بينهن " والله أعلم .[١]

التفسير الصحيح لقوله تعالى : [ن]

يعد ذكر بعضا من الروايات السابقة أذكر د الامام الرازى حيث قال : " واعلم أن هذه الوجوه ضعيفة لأنا إذا جعلناه مقسما به وجب ان كان جنسا أن نجره وننونه ، فان القسم على

هذا التقدير يكون بدواة منكرة أو بسمكة منكرة كإنه قيل : وسمكة والقلم ، أو قيل : ودواة والقلم . [٢]

وقال ابن حجر فى الفتح : " والمشهور فى [ن] أن حكمها حكم أوائل السور فى الحروف المقطعة ، وبه جزم الفراء . [٣]

وهو رأى الزمخشرى حيث يقول : " والمراد هذا الحرف من حروف المعجم "[٤]

ويقول صاحب التحرير والتنوير فى تفسير[ن] : " افتتاح هذه السورة باحد حروف الهجاء جار على طريقة امثالها من فواتح السور ذات الحروف المتقطعة المبنية فى سورة البقرة ، وهذه أول سورة نزلت مفتتحة بحرف مقطع من حروف الهجاء .

ورسموا حرف " ن " بصورته التى يرسم بها فى الخط وهو مسمى اسمه الذى هو " نون " بـ (نون بعدها واو ثم نون) وكان القياس ان تكتب الحروف الثلاثة لأن الكتابة .

تبع للنطق ، والمنطوق به هو اسم الحرف لا ذاته ، لأنك إذا اردت أن تكتب كلمة سيف مثلا فانك ترسم : سينا ، وياء ، وفاء " ولا ترسم صورة سيف .وانما يقرأ باسم الحرف لا بهجائه.

---

[١] تفسير البغوى (٨ /١٨٥) محيى السنة ابو محمد الحسين بن مسعود البغوى - تحقيق محمد بن عبدالله النمر وأخرين - دار طيبة - الرياض - ط١ ١٤٠٩ هـ .

[٢] مفاتيح الغيب للفخر الرازى (١٥ / ٦٤٣) .

[٣] فتح البارى بشرح صحيح البخارى - كتاب التفسير (سورة ن و القلم) ط : المكتبة السلفية ١٤٠٧

[٤] .تفسير الكشاف للزمخشرى (٤ / ١٤٠) .

تفسير سورة القلم : دراسة تحليلية ——— ١١٦

وينطق باسم نون ساكنة الآخر سكون الكلمات قبل دخول العوامل عليها ، وكذلك قرء فى القراءات المتواترة (١)

وينطق باسم نون ساكنة الآخر سكون الكلمات قبل دخول العوامل عليها ، وكذلك قرء فى القراءات المتواترة

وعن كيفية النطق بهذا الحرف بد دخول العوامل عليه أن يقرأ [ن والقلم] بالبيان والإتمام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما فى (ص) (٢)

وعن كيفية النطق بهذا الحرف بد دخول العوامل عليه أن يقرأ [ن والقلم] بالبيان والإتمام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما فى (ص)

وذكر الإمام ابن كثير فى تفسيره بعض الروايات السابقة وتعجب من رواية مثل هذه المرويات (٣)

وذكر الإمام ابن كثير فى تفسيره بعض الروايات السابقة وتعجب من رواية مثل هذه المرويات

وكذلك الإمام ابن جرير الطبرى فقد قال : حدثنا الحسن بن شبيب المكتب حدثنا محمد بن زياد الجزرى عن فرات بن أبى الفرات عن معاويه بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : [ن والقلم وما يسطرون] لوح من نور ، وقلم من نور يجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة " وقال معلقا على هذه الرواية : " وهذا مرسل غريب " (٤) .

وكذلك الإمام ابن جرير الطبرى فقد قال : حدثنا الحسن بن شبيب المكتب حدثنا محمد بن زياد الجزرى عن فرات بن أبى الفرات عن معاويه بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : [ن والقلم وما يسطرون] لوح من نور ، وقلم من نور يجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة " وقال معلقا على هذه الرواية : " وهذا مرسل غريب " (٤) .

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٠ / ٥٩) والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى (٣ / ٢٥٦)

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٠ / ٥٩) والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى (٣ / ٢٥٦) ط : أم القرى للطباعة والنشر (دات) والفتوحات الإلهية لتوضيح الجلالين للدقائق الخفية لسليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل (٤ / ٣٨٢) ط : عيسى البابى الحلبى وشركاه (دات) وصفوة التفاسير للصابونى (١٩ / ١٤٠٩) .

(٣) الكشاف للزمخشرى (٤ / ١٤٠) .

(٤) تفسير القرآن لابن كثير (القرآن العظيم) وتفسير الطبرى (٢٩ / ١٢) ط: دار الحديث - القاهرة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م)

(٤) جامع البيان عن تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى (٢٩ / ١٢) ط: دار الحديث - القاهرة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م) المفسرين قد ذكروا مثل هذه المرويات فى تفاسيرهم فانهم ذكروها للتنبيه على عدم صحتها ، وإذا كان كبار المفسرين قد ذكروا مثل هذه المرويات فى تفاسيرهم فانهم ذكروها للتنبيه على عدم صحتها ، أو لانهم جامعون لما قيل لينقحها من يجيء بعدهم ، ويكفى انهم ذكروها بسندها ليسهل نقدها " وعلى الباحث أن يعرف مهمة الكتاب الذى استند اليه ، وغرض مؤلفه منه ، ذلك هو التحقيق الصحيح الذى يرتضيه كل ذى عقل سليم " ومن الأمانة العلمية أن يكلف المؤلف نفسه بقراءة عنوان الكتاب وتاريخ مؤلفه حتى لا يتورط فيما ينقله ، فمثلا الكتب القديمة كالطبرى جمع المرويات لينقحها من يجيء بعده ، وجاء المحققون من بعدها ففربلوا الغث عن الثمين ولم يكن ذلك قادحا لامامة الطبرى فجمع الخامات أمر لابد منه أو لا لتكون من بعدها مادة الفرز ، فان تمسك باحد الكتابين أو بعض مرويات الطبرى وغيره عن سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه - مع نقلهم فى الكتب وتقديمهم على انها حقيقة واقعة فذلك منه تفريط لا يقتضيه الأمانة العلمية " دار التطارف اليسير من : قانون الفكر الإسلامى د/ محمد عبد المنعم القيعى (ص ١٠) المادة الرابعة ، ط : دار الطباعة المحمدية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

وعن هذه المرويات يقول صاحب كتاب : " الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير " .

ومن ذلك : ما يذكر كثير من المفسرين فى قوله تعالى : [ن والقلم] من إنه الحوت الذى على ظهره الأرض ويسمى " البهوت " .

وقد ذكر ابن جرير والسيوطى روايات عن ابن عباس منها :

" أول ما خلق الله القلم ، فجرى بما هو كائن ، ثم رفع بخار الماء ، وخلقت منه السموات ثم خلق النون فبسطت الأرض عليه ، فاضطرب النون فمادت الأرض [١] فأثبتت بالجبال .

وقد روى عن ابن عباس - أيضا - إنه الحرف الذي فى آخر كلمة : " الرحمن " .

واضطراب النقل عنه يقلل الثقة بما روى عنه ، ولا سيما الأثر الأول عنه ، والظاهر إنه افتراء عليه ، أو هو من الإسرائيليات ألصق به .

واليك ما قاله امام حافظ ، ناقد ، من مدرسة اشتهرت بأصالة النقد ، وهو الامام ابن قيم الجوزية ، قال فى أثناء كلامه على الأحاديث الموضوعة .

ومن هذا : حديث ان الأرض على صخرة والصخرة على قرن ثور ، فإذا حرك الثور قرنه تحركت الصخرة فهذا ن موضع اهل الكتاب الذين قصد والاستهزاء بالرسل .

وقال أبو حيان :" لا يصح من ذلك شيء ما عدا كونه اسما من أسماء حروف الهجاء[٢].

---

(١) تحركت ومالت .

(٢) وهذا الرأى هو الراجح فى فواتح لسور من امثال : (الم) و (حم) و (ن) فهى أسماء مسمياتها الحروف الهجائية ، لتكون بمثابة الدليل على اعجاز القرآن كأن الله قال : ان القرآن مؤلف من جنس هذه الحروف ، ومن كلمات من هذه لحروف ، وقد تحدى به النبى - صلى الله عليه وسلم - الأنس والجن فعجزوا وما ذلك الا لأنه ليس من كلام بشر ، وانما هو من عند خالق القوى والقدر .

(الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للشيخ العلامة د/ محمد بن محمد ابو شهبة - مكتبة السنة - ط٤ ١٤٠٨هـ) .

[والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجرا غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم] [١]

القلم : ما يكتب به ، والجمع أقلام وقلام قال تعالى : [ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام] [٢]

وقال تعالى : [ن والقلم وما يسطرون][٣] وقال : [اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم][٤] إشارة وتنبيه إلى ما أنعم الله به على الإنسان : من تعليم الكتابة ، وما فى القلم من الفوائد واللطائف[٥].

والقلم هو جنس القلم الذى يكتب به ، وهو واقع علىَ كل قلم يكتب به من فى السماء ومن فى الأرض[٦] .

---

[١] الآيات ١ : ٤ من السورة المباركة .

[٢] سورة لقمان / ٢٧ .

[٣] صدر سورة القلم .

[٤] الآيتان ٣،٤ من سورة العلق .

[٥] بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين الفيروز ابادى ٤ / ٢٩٤) – المجلس الأعلى للشئون لإسلامية – ط٣ (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م) .

[٦] ورد لفظ (القلم) فى القرآن أربع مرات :

اثنان بالإفراد ، واثنان بالجمع .

الأولى : فى قوله تعالى : [ن والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون] (القلم : ١ ، ٢)

الثانية : فى قوله تعالى : [اقر أ وبك الأكرم . الذى علم بالقلم] (العلق : ٣ ، ٤)

الثالثة : فى قوله تعالى : [ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله] (لقمان ٢٧)

الربعة : فى قوله تعالى : [وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ايهم يكفل مريم] (آل عمرن : ٤٤)

(المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – ص ٥٥٢ ، وضعه : محمد فؤاد عبد الباقي – مكتبة االغزلى – د/ت).

وقوله تعالى : [اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم] فهو قسم منه - تعالى - وتنبيه على ما انعم به عليهم من تعليم الكتابة التى تنال بها العلوم ولهذا قال :

[وما يسطرون] [١] فمن بتيسير الكتابة بالقلم كما من بالنطق فقال : [خلق الإنسان . علمه البيان] [٢]

وجاء فى الخبر أن أول ما خلق الله القلم ، قال ابن عباس : أول ما خلق الله القلم ثم قال له : اكتب ما هو كائن إلى ان تقوم الساعة فجرى بما هو كائن إلى ان تقوم الساعة من الآجال والأعمال .

وعن حكمة القسم بالقلم - ايضا - يقول الزمخشرى : " وأقسم بالقلم تعظيما له لما فى خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ، ولما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف . [٣]

ويقول البيضاوى : [والقلم] أقسم به لكثرة فوائده .

قال محي الدين شيخ زادة : " ومن فضل القلم وجلالته إنه لم يكتب الله تعالى كتابا الا به ، ولذلك أقسم الله تعالى به ، وقيل : البيان اثنان : بيان اللسان وبيان البنان ، ومن فضل بيان البنان أن ما تثبته الأقلام باق على الأيام ، وبيان اللسان تدرسه الأعوام ، ولولا القلم والدواة ما قام دين ، ولا يصح عيش " [٤]

ويحدثنا الألوسى - رحمه الله تعالى - عن فوائد القسم بالقلم وحكمه القسم بالقلم به فيقول : ثم ان استحقاق القلم للإعظام بالأقسام به إذا اريد به قلم اللوح الذى جاء فى الأخبار إنه اول شيء خلقه الله تعالى او قلم الكرام الكاتبين ظاهر .

---

(١) باختصار وتصرف من تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٤٠١) .

(٢) سورة الرحمن ٣ ، ٤ .

(٣) تفسير الكشاف للزمخشرى (٤/ ١٤١)

(٤) حاشية محيى الدين شيخ زادة على تفسير القاضى البيضاوى (٤ / ٥٢٥) ط : دار صادر - بيروت - د/ت .

وما استحقاق ما فى أيدى الناس إذا أريد به الجنس لذلك فلكثرة منافعه ، ولو لم يكن لـــه مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله – عز وجل – لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه " [١].

ويقول ابن القيم منوها بشأن القلم ، وكثرة منافعه ، وحكمة القسم به :

" ثم أقسم – سبحانه – بـ [القلم وما يسطرون] .

فاقسم بالكتب وآلته وهوالقلم الذى هو احدى آياته ، واول مخلوقاته الذى جرى بـه قدره ، وشرعه ، وكتب به الوحى ، وقيد به الدين ، وأثبتت به الشريعة ، وحفظـــت بـــه العلوم ، وقامت به مصالح العباد ، فى المعاش والمعاد ، فوطدت به الممالك ،و امنت بـــه السبل والمسالك ، وقام فى الناس ابلغ خطيب وافصحه ، وانفعه لهم وأنصحه ، وواعظـــا تشفى مواعظه القلوب من السقم ، ويخاف سطوته وبأسه ذو البأس الشديد ، وبالأقلام تدبر الأقاليم ، وتساس الممالك ، والأقلام نظام للافهام ، وكما أن اللسان بريد القلب فالقلم بريـد اللسان ، ويولد الرحوف السموعة عن اللسان كتولد الحروف المكتوبة عن القلم ، والقلـــم بريد القلب ورسوله وترجمانه ، ولسانه الصامت . [٢]

ويظل ابن القيم يعدد منافع القلم وفوائده إلى أن يقسم الأقلام إلى أثنى عشر قلما :

الأول : قلم القدر : وبه كتب الله مقادير الخلائق .كما فى سنن أبى داود عن عبـــادة بـــن الصامت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان أول ما خلق الله القلـــم فقال له : اكتب ، قال : يا رب وما أكتب ؟ قال : اكتب مقـــادير كـــل شـــيء حتـــى تقـــوم الساعة".[٣]

الثانى : قلم الوحى : وهو الذى يكتب به وحى الله إلى أنبيائه ورسله .

الثالث قلم التوقيع : وهو القلم الذي يوقع به عن الله ورسوله ، وهو قلم الفقهاء والمفتين

الرابع قلم طب الأبدان التى تحفظ بها صحتها الموجودة ، وترد إليها صحتها المفقودة.

---

[١] روح المعاني للألوسى (٢٩ / ٢٤) .

[٢] التبيان فى أقسام القرآن للعلامة شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزيـــه ص (١٢٨) فصل (٤٢) ط : مكتبة المتنبى - القاهرة – د/ت .

[٣] سنن أبى داود – للامام لحافظ أبى داود سليمان بن الأشعث السجتاني – كتاب السنة – باب فـــى القـــدر (٤/٢٢٦) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد – دار الفكر د/ت .

الخامس قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم ، وسياس الملك ، واصحابه أعز أصحاب الأقلام .

السادس : قلم الحساب ، وهو القلم الذى تضبط به الامـــوال ، مســتخرجها ومصروفـــها ومقاديرها ، وهو قلم الأرزاق .

السابع : قلم الحكم ، وهو الذى تثبت به الحقوق ، وتنفذ به القضايا ، وتراق به الدماء .

الثامن : قلم الشهادة ، وهو الذى تحفظ به الحقوق ، وتصان عـــن الإضاعـــة ، ويصـــدق الصدق ، ويكذب الكذب ، ويشهد للمحق بحقه ، وعلى المبطل بباطله .

ومتى خان هذا القلم فسد العالم اعظم فساد ، وباستقامته يســـتقيم امـــر العـــالم ، ومبناه على العلم وعدم الكتمان .

التاسع : قلم التعبير : وهو كاتب وحى المنام وتفسيره وتعبيره ، وما أريد منه .

العاشر : قلم تاريخ العالم ووقاعه ، وهو القلم الذى تضبط به الحوادث وتنقل من امة إلـــي امة .

الحادي عشر : قلم اللغة وتفاصيلها من شرح المعاني وألفاظـــه ، ونحوهـــا ، وصرفـــها ، وأسرار تراكيبها .

الثانى عشر : القلم الجامع ، وهو قلم الرد على المبطلين ، ورفع سنة المحقين ، وكشـــف أباطيل المبطلين .

فهذه الأقلام التى فيها انتظام مصالح العالم .

ويكفى فى جلالة القلم إنه لم تكتب كتب الله إلا به ، وان الله أقسم به فى كتابـــه ، وتعرف إلى غيره بان علم بالقلم ، وانما وصل إلينا ما بعث به نبينا – صلى الله عليه وسلم بواسطة القلم .

وقال أبو الفتح البستى :

إذا اقسم الأبطال يوما بسيفهم ... وعدوه مما يكسب المجد والكرم

كفى قلم الكتاب عزا ورفعة ... مدى الدهر أن الله أقسم بالقلـــم

[وما يسطرون]

هى السطور المكتوبة بالقلم ، وهو قسماً بكتابتهم فيكون قسم بالقرآن على أن القرآن ما هو بكلام مجنون .

و[يسطرون] مضارع يسطر ، يقال : سطر من باب نصر ، اذا كتب كلمات عدة تحصل منها صفوف من الكتابة .

وضمير [يسطرون] راجع إلى غير مذكور فى الكلام ، وهو معلوم للسامعين لأن ذكر القلم ينبئ بكتبة يكتبون به .

والمقسم عليه : نفى ان يكون النبى – صلى الله عليه وسلم – مجنونا [ما أنت بنعمة ربك بمجنون] [١] .

والخطاب له بهذا تسلية له لئلا يحزنه قول المشركين لما دعاهم إلى الإسلام : هو مجنون ، وذلك ما شافهوا به النبى –صلى الله عليه وسلم – وحكاه الله عنهم فى آخر السورة : [وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون] .

وهكذا : كل ما ورد فيه نفى صفة الجنون عنه فإنما هو رد على المشركين كقوله : [وما صاحبكم بمجنون] [٢] .

والمقصود من نفى الجنون عنه : إثبات ما قصد المشركون نفيه ، وهو أن يكون رسولا من عند الله لإنهم لما نفوا عنه صفة الرسالة وضعوا موضعه صفة الجنون ، فاذا نفى ما زعموا فقد ثبت ما ادعاه " [٣] .

[وإن لك لأجرا غير ممنون]

---

[١] قال البيضاوى : هو جواب القسم ، والمعنى : ما أنت بمجنون منعماً عليك بالنبوة وحصافة الرأى (حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى (٨/٢٢٠) دار صادر – بيروت – د/ت .

[٢] سورة التكوير ٢٢ .

[٣] التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤/ ٦١)

مناسبة هذه الآيه لما قبلها :

لما ثبت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ودفع بهتان أعدائه بإكرامه بأجر عظيم على ما لقيه من المشركين من أذى بقوله : [وإن لك لأجر غير ممنون] بقرينة وقوعه عقب .

قوله : [ما أنت بنعمة ربك بمجنون] مؤكدا ذلك بحرف (إن) وبلام الابتداء ، وبتقديم المجرور وهو فى قوله : [لك] [١] .

وثمة مناسبة أخرى ذكرها الامام البقاعى يقول :

" لما نفى سبحانه – عنه – صلى الله عليه وسلم – ما قالوه مما تواقحوا به فثبت له – صلى الله عليه وسلم – كمال العقل ، وكان المجنون من لا يكون له عمل ينتظم ، ولا قول يرتبط ، فلا يستعمله أحد فى شيء ليكون له عليه أجر أثبت له الأجر المستلزم للعقل فيتحقق إثباته من أحكم الحكماء على وجه أبلغ مما لو صرح به فقال على وجه التأكيد [وإن لك] أي علي ما تحملت من أثقال النبوة ، و علي صبرك عليهم بما يرمونك به ، وهو تسلية له -صلي الله عليه و سلم . [لأجرا].

و لم أثبت ما يلازم العقل و يصلح لأن يكون في الدنيا و أن يكون في الآخرة دالا بتنوينه و ما أفهمه السياق من مدحه – صلي الله عليه و سلم – علي عظمته و كان الأجر لا يستلزم الدوام ، و قد يكون منغصا بنوع منه قال : (غير ممنون) أي مقطوع و لا منقوص في دنياك و لا في آخرتك ،ولا لأحد من الناس عليك به من صنيع ، و الأجر لايكون إلا علي العمل الصالح ، و العمل رشح الأخلاق .

و لما ثبت بهذا العقل مع ما أفادَه من الفضل ،و كان الذي يؤجر قد يكون في أدنى رتب العقل بين إنه – صلي الله عليه و سلم – في أعلاها بقوله مؤكد لما معني (و إنك لعلي خلق عظيم) [٢]

---

[١] المصدر السابق (١٤/ ٦٢)

[٢] نظم الضرر في تناسب الآيات و السور (٢٠/٢٩١)

و قوله : [غير ممنون] أي غير مقطوع مع عظمه ، أو غير ممنون عليك من جهة الناس فإنه عطاؤه - تعالي - بلا واسطة .

أو من جهته - تعالي - لأنك حبيب الله تعالي - و هو - عزوجل - أكرم الأكرمين ومن شيمة الأكارم أن لايمنوا بإنعامهم لا سيما إذا كان علي أحبابهم كما قال :

سأشكر عمرا إن تراخت منيتي ... أيادي لم تمنن وإن هي جلت [١]

و من الأول : [غير ممنون] غير مقطوع قول الشاعر :

ألا تكون كإسماعيل إن له ... رأيا أصيلا وأجرا غير ممنون [٢]

[و إنك لعلي خلق عظيم]

مناسبة هذه الآية لسابقتها :

..... بعد أن آنس نفس ر سوله -صلي الله عليه و سلم - بالوعد عاد إلى تسفيه قول الأعداء فحقق إنه متلبس بخلق عظيم ، وذلك ضد الجنون .

والخلق : طباع النفس ، وأكثر إطلاق على الخير إذا لم يتبع بنعت ، ومنه قوله - تعالى - [ان هذا إلا خلق الأولين] [٣]

والخلق العظيم : هو الخلق الأكرم فى نوع الأخلاق ، وهو البالغ أشد الكمال ، والمحمود فى طبع الإنسان لاجتماع مكارم الأخلاق فى النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو حسن معاملته الناس على اختلاف الأحوال المقتضية لحسن المعاملة ، فالخلق العظيم أرفع من مطلق الخلق الحسن [٤] .

---

[١] روح المعاني للألوسى ٢٥/٢٩

[٢] النكت و العيون تفسير الماوردي ٠(٦١/٦). ط : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان (د/ ت).

[٣] سورة الشعراء / ١٣٧ .

[٤] التحرير والتنوير لابن عاشور (٦٣/١٤)

ولأن الخلق العظيم : لا يدرك شأوه أحد من الخلق

قال ابن عباس ومجاهد : على خلق : دين من الأديان ، ليس دين أحب إلى الله - تعالى - ولا أرضى عنده منه .

وفى حديث مسلم وابى داود عن سعد بن هشام قال : قلت لعائشة - رضى اله عنها - يا أم المؤمنين : أنبئينى عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قالت فإن خلق نبى الله كان القرآن "[١]

وأرادت بذلك - رضى الله عنها - على ما قيل ان ما فيه من المكارم كله كان فيه - صلى الله عليه وسلم- وما فيه من الزجر عن سفساف الأخلاق كان منزجرا به عليه الصلاة والسلام ــ لأنه المقصود بالخطاب بالقصد الأول .

وعن أبى الدر داء إنه سأل السيدة عائشة - رضى الله عنها - عن خلقه - صلى الله عليه وسلم - فقالت كان خلقه القرآن : يرضى لرضاه ويسخط لسخطه .

وقال العارف بالله - تعالى - المرصفى : أرادت بقولها كان خلقه القرآن تخلقه بأخلاق الله - تعالى - لكنها لم تصرح به تأدبا منها .

وزعم بعضهم أن فى الآية رمزا إلى ان الأخلاق الحسنة مما لا تجامع الجنون ، وإنه كلما كان الإنسان أحسن أخلاقا كان أبعد عن الجنون،ويلزم من ذلك ان سوء الأخلاق قريب من الجنون . [٢]

و(على) فى قوله تعالى [لعلى خلق عظيم] للأستعلاء فدل اللفظ على إنه مستعل على هذه الأخلاق ومستول عليها ، وإنه بالنسبة إلى هذه الأخلاق كالمولى بالنسبة إلى العبد ، وكالامير بالنسبة إلى المامور [٣] .

---

[١] صحيح مسلم . باب : جامع صلاة الليل من كتاب صلاة المسافرين وقصرها مطولا برقم (٧٤٦)

[٢] روح المعاني للألوسى (٢٥/٢٩)

[٣] مفاتيح الغيب للفخر الرازى (٦٤٩/١٥).

وعلى للاستعلاء المجازى المراد به التمكن كقوله تعالى : [أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون] [١]

وبهذه الآية الكريمة قد جاز الرسول - صلى الله عليه وسلم - الفضائل كلها ، وكمال الأخلاق العظيمة .

وقال المارودى فى تفسير [وانك لعلى خلق عظيم] :

فيه ثلاثة أوجه :

الأول : أدب القرآن - قاله عطيه .

الثانى : دين الإسلام - قاله ابن عباس وأبو مالك .

الثالث : على طبع كريم وهو الظاهر . [٢]

وقال ابن تيمية :

والمقسم عليه ثلاث جمل : [ما أنت بنعمة ربك بمجنون] [وان لك لأجرا غير ممنون] [وإنك لعلى خلق عظيم] .

سلب عنه النقص الذي يقدح فيه ، وأثبت له الكمال المطلوب فى الدنيا والآخرة .

وذلك الذى أتى به :

اما ان يكون حقا أو باطلا ، واذا كان باطلا ، فاما ان يكون مع العقل أو عدمه ، فهذه الأقسام الممكنة فى تظاهر هذا :

الأول : أن يكون باطلا ولا عقل له ، فهذا مجنون لاذم عليه ولا يتبع .

الثانى : أن يكون باطلا وله عقل ، فهذا يستحق الذم والعقاب .

الثالث : أن يكون حقا مع العقل ، فنفى عنه الجنون أولا ، ثم أثبت له الأجر الدائم الذى هو ضد العقاب ، ثم بين إنه على حق عظيم .

وذلك يبين عظم الحق الذى هو عليه بعد أن نفى عنه البطلان [٣] .

---

[١] الآية رقم (٥) من سورة البقرة ، والآية رقم (٥) من سورة لقمان .

[٢] النكت والعيون - تفسير المارودى (٦١/٦).

[٣] مجموع فتاوى ابن تيمية (٦٢/١٦)

ولقد " جمع النبى - صلى الله عليه وسلم - بين تقوى الله وحسن الخلق ، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه ، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه ، فتقوى الله توجب محبة الله ، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته [١] .

[فستبصر ويبصرون . بأيكم المفتون] [٢]

من المفسرين من حمل ذلك على الأحول الدنيوية ، إنه كيف يكون عاقبة امرك وعاقبة امرهم ، وأيكم المنتصر على الآخر ، فانك يا محمد تصير معظما فى القلوب ، وتستولي عليهم بالقتل ، قال مقاتل : هذا وعيد بالعذاب ببدر .

ومنهم من قال : ستبصر يا محمد ويبصر الكفار إذا تبين الحق وانكشف المستور يوم القيامة .

والفاء فى قوله :[فستبصر] للتفريع على قوله : [ما أنت بنعمة ربك بمجنون] باعتبار ما اقتضاه قوله : [بنعمة ربك] من أبطال مقالة أعدائه ، واتهامهم له بالجنون .

والمقصود هو ما في قوله :[و يبصرون] و لكن أدمج فيه قوله : [فستبصر] للدعوة إلي الأنصاف على طريقة قوله :[و إنا أو إياكم لعلي هدى أو في ضلال مبين] [٣] و ضمير [يبصرون] عائد إلي ضمير مقدر لدي السامع وهم المشركون القائلون: هو مجنون .

و قوله : [بأيكم المفتون]

معناه :أي رجل ، أو أي فريق منكم المفتون .

و المفتون : اسم مفعول و هو الذي أصابته فتنة ، فيجوز أن يراد بها هنا الجنون فإن الجنون في كلام العرب من قبيل الفتنة ، يقولون للمجنون فتنه الجن .[٤]

---

[١] الفوائد للعلامة شمس الدين محمد ابن أبى بكر بن قيم الجوزية ص (٧٣) مكتبة القاهرة (ط٤ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)

[٢] الآيتان ٥ ، ٦ من لسورة المباركة

[٣] سورة سبأ / ٢٤ .

[٤] باختصار وتصرف من التحرير والتنوير (١٤/٦٥) .

و اختلف في تقدير قوله : [بأيكم المفتون].

فقال أبو عثمان المازني : هو كلام مستأنف ، و المفتون عنده مصدر،أي : بأيكم الفتنة ، و الاستفهام عن امر دائر بين اثنين قد علم انتفاؤه عن أحدهما قطعا فتعين حصوله للآخر

و الجمهور علي خلاف هذا التقدير ،و هو عندهم متصل بما قبله ، ثم لهم فيه أربعة أوجه : أحدهما : أن الباء زائدة والمعني : أيكم المفتون ، وزيدت في المبتدأ كما زيدت في قولك : بحسبك أن تفعل ، قاله أبو عبيد .

الثاني : أن المفتون بمعني الفتنة ، أي : ستبصر و يبصرون بأيكم الفتنة . و الباء علي هذا ليست زائدة ، قاله الأخفش .

الثالث : أن المفتون مفعول علي بابه ، و لكن هنا مضاف محذوف تقديره : بأيكم فتون المفتون . و ليست الباء زائدة ، قاله الأخفش أيضا .

الرابع : أن الباء بمعني (في) و التقدير : في أي فريق منكم النوع المفتون ، والباء علي هذا ظرفية .

و هذه الأقوال كلها تكلف ظاهر لا حاجة إلي شيء فيه .

و [ستبصر] مضمن معني : تشعر و تعلم ، فعدي بالباء كما تقول : ستشعر بكذا و تعلم به قال تعالي :[ألم يعلم بأن الله يري] [١] .

وإذا دعاك اللفظ إلى المعنى من مكان قريب فلا تجب من دعاك إليه من مكان بعيد[٢] .

[إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين] .[٣]

تعليل لجملة : [فستصبر ويبصبرون . بأيكم المفتون] فإنها تتضمن الحكم عليهم بالجنون لمخالفتهم لما فيه نفعهم فى العاجل والآجل ،واختيارهم ما فيه ضرهم فيهما .

---

[١] سورة العلق / ١٤ .

[٢] التبيان فى أقسام القرآن لابن القيم ص: ١٣٥ وما بعدها .

[٣] الآية السابعة من السورة الكريمة .

والمعنى : هو أعلم بمن ضل عن سبيله الموصل إلى سعادة الدارين .

[فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون . ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم . عتل بعد ذلك زنيم)[١]

مناسبة الآية الأولى لما قبلها :

اعلم إنه - تعالى - لما ذكر ما عليه الكفار فى امر الرسول ،ونسبته إلى الجنون مع الذى أنعم الله به عليه من الكمال فى امر الدين والخلق ،أتبعه بما يدعوه إلى التشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار، فإن هذه السورة من أوائل ما نزل فقال :-

فقال: [فلا تطع المكذبين] يعنى رؤساء أهل مكة ، وذلك إنهم دعوه إلى دين آبائه فنهاه الله أن يطيعهم ،وهذا من الله إلهاب وتهييج للتشدد فى مخالفتهم .[٢]

وقوله : [ودوا لو تدهن فيدهنون].

أى : تداهن وتلين لهم فى دينك فيداهنون فيلينون فى أديانهم .وكانوا أرادوه أن يعبد آلهتهم مدة ، ويعبدوا الله مدة[٣] .

ومعنى : ودوا : أحبوا .

وورد فى السيرة أن المشركين تقدموا للنبى صلى الله عليه وسلم - بمثل هذا العرض ووسطوا فى ذلك عمه أبا طالب وعتيبة بن ربيعة .

فيكون قوله : [فلا تطع المكذبين] نهى عن إجابتهم إلى شيء عرضوه عليه عندما قرعهم بأول هذه السورة [٤] .

---

[١] الآيات ٨ :١٣ من السورة المباركة .

[٢] تفسير الفخر الرازى - مفاتيح الغيب (١٥/ ٦٥٣) .

[٣] تفسير غريب القرآن لأبى محمد بن مسلم بن قتيبة ص (٤٧٨) تحقيق السيد أحمد صقر ط : دار الكتب اللمية - بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

[٤] التحرير والتنوير بتصرف .

ومن هنا يضح أن جملة [ودوا لو تدهن فيدهنون] بيان المتعلق الطاعة المنـــهي عنها.

وفعل: [دهن] مشتق من الإدهان فى الأصل مثل التدهين لكن جعل عبـــارة عـــن المداراة والملاينة وترك الجد

قال تعالى : [أفبهذا الحديث أنتم مدهنون][١]

وقال الشاعر :

الحزم والقوة خير من الإ دهان والقلق والهاع[٢]

و داهنت فلانا مداهنه ، قال : [ودوا لو تدهن فيدهنون][٣]

و قال العكبري : قوله تعالي : [لو تدهن فيدهنون] و إنما أثبت النون لإنه عطفـــه علي تدهن و لم يجعله جواب التمني ، وفي غير المصاحف بغير نون علي الجواب .[٤]

[ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم . عتل بعـد ذلك زنيم] .

إعادة فعل النهى عن الطاعة لمن هذه صفاتهم للاهتمام بهذا الأدب فلم يكتف بدخول أصحاب هذه الأوصاف فى عموم المكذبين ،ولا بتخصيصهم للذكر بمجرد عطـــف الخـــاص على العام بأن يقال : ولا كل حلاف بل جيء فى جانبهم بصيغة أخرى مماثلة للأولى .[٥]

---

[١] سورة الواقعة ٨١

[٢] الهاع : الجذع (لسان العرب مادة : هاع) .

[٣] المفردات فى غريب القرالتحرير والتنوير بتصرف (١٤ / ٦٨) .آن ص (١٧٣) لأبى القاسم الحســين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى - تحقيق :محمد سيد الكيلانى - ط : دار المعرفة ،بيروت ، لبنان ، د/ت .

[٤] التبيان فى إعراب القرآن لأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى (٤٦٢/٢) دار الفكر ط : ١٤١٨هـــ - ١٩٩٧م.

[٥] التحرير والتنوير (١٤/ ٧٠) .

وسبب نزول هذه الآيات :

هذه الآيات نزلت فى الأخنس بن شريق ،ذكره الشعبى و السدى وابـــن إســحاق ، وقيل : نزلت فى الأسود بن عبد يغوث

قال ابن أبى حاتم : عدى السدى قوله: [ولا تطع كل حلاف مـــهين] نزلـت فـى الأخنس ابن شريق ، وعن مجهد قال : نزلت فى الأسود بن عبد يغوث [١] .

وقيل: الوليد بن المغيرة ، عرض على النبى -صلى الله عليه وسلم- مالا وحلف أن يطيعه إن رجع عن دينه ، قاله مقاتل.

وقال ابن عباس : هو أبو جهل بن هشام .

ولا مانع أن تنزل فى هؤلاء جميعا فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول الأصوليون . وهم جميعا قد كذبوا النبي - صلى الله عليه وسلم -ورموه بما لا يليق به - صلوات الله وسلامه عليه - .

والحلاف : الكثير الحلف ، والمهين : الضعيف القلب .

قال مجاهد وابن عباس : الكذاب ، والكذاب مهين .

[همار] قال ابن زيد : الهمز الذى يهمز الناس بيده ويضربهم ، واللماز باللسان .

وقال الحسن : هو الذى يهمز ناحية فى المجلس كقوله تعالى :[همزة][٢]

وقيل: الهماز الذى يذكر الناس فى وجوهـــهم ، واللمـــاز : الـذى يذكرهـم فـى مغيبهم.قاله أبو العالية ، وعطاء بن أبى رباح ، والحسن أيضا .

وقال مقاتل ضد هذا الكلام .قال : إن الهمزة الذى يغتاب بالغيبة ، واللمـــزة الـذى يغتاب فى الوجه .

---

[١] تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ والصحابة والتابعين لأبن أبى حـــاتم (١٠ / ٣٣٦٤) تحقيق : أسعد محمد الطيب _المكتبة العصرية -صيدا -بيروت -ط٢ (١٤١٩ هـ -١٩٩٩)

[٢] سورة الهمزة /١ .

وقال مرة : هما سواء ، وهو القتات[١] الطعان للمرء إذا غاب ونحوه عن ابن عباس وقتادة .

قال الشاعر :

تدلى بود إذا لا قيتنى كذبا ... وإن أغب فأنت الهامز اللمزة .

والمشاء بنميم : الذى يمشى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم .

يقال : نم ينم نما ونميما ونميمة : أى يمشى ويسعى بالفساد .

وفى صحيح مسلم عن حذيفة إنه بلغه أن رجلا ينم الحديث فقال حذيفة: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول :"لا يدخل الجنة نمام " .

وقال الشاعر :

ومولى كبيت النمل لاخير عنده ... لمولاه إلا سعيه بنميم .

(مناع للخير) أى بخيل بالمال لا ينفقه فى وجوهه .

وقال ابن عباس : يمنع ولده وعشيرته عن الإسلام .

وقال الحسن : يقول لهم من دخل منكم فى دين محمد لا أنفعه بشىء أبدا.

وهذه الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة ، وكان له من عشرة البنين ، وكان يقول لهم و ما قاربهم : لئن تبع دين محمد منكم أحد لا أنفعه بشيء ابدا ، فمنعهم الإسلام ، فهو الخير الذى منعهم [١] .

[عتل بعد ذلك زنيم]

العتل : الغليظ الجافى ، نراد من قولهم : فلان يعتل : إذا غلظ عليه ، وعنف به فى القود ، و(الزنيم) الدعى . [٣]

---

[١] ألقت : الكذب المهيأ ، والقتات : النمام ، وهو الذى يتسمع أحاديث الناس فيخبر أعداءهم وقول مقتوت : مكذوب . (لسان العرب – مادة : قتت) .

[١] مفاتيح الغيب للفخر الرازى (١٥/٦٥٤)

[٣] تفسير غريب القرآن (ص ٤٧٨)

قال الفخر : الصفة الثامنة : العتل ، وأقوال المفسرين فيه كثيرة ، وهى محصورة فى امرين :

أحدهما : إنه ذم فى الخلق .

الثانى : إنه ذم فى الخلق ، وهو مأخوذ من قولك : عتله إذا قاده بعنف وغلظة ، ومنه قوله تعالى : [خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم] [١]

واما الذين حملوه على ذم " الخلق " ففيه أقوال كثيرة ذكرها الامام القرطبى فقال :

العتل : الجافى الشديد فى كفره .

وقال الكلبى والفراء : هو الشديد الخصومة بالباطل .

وقال ابن السكيت : عتله وعنته - باللام والنون جميعا - والعتل : الغليظ الجافى ، وقال على ابن بى طالب والحسن : العتل : الفاحش السيئ الخلق .

وقل معمر : هو الفاحش اللئيم .

قال الشاعر :

بعتل من الرجال زنيم ... غير ذى نجدة وغير كريم [٢]

وفى صحيح البخارى عن حارثة بن وهب إنه سمع النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : " ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ قالوا : بلى. قال : كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره . ألا اخبركم بأهل النار ؟ قالوا : بلى . قال : كل عتل جواظ متكبر " [٣]

وفى رواية عنه : " كل جواظ زنيم متكبر "

الجواظ : قيل هو الجموع المنوع ، وقيل : الكثير اللحم المختال فى مشيته .

وذكر المارودى عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم ، ورواه ابن مسعود أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال لا يدخل الجنة جواظ ، ولا جعظرى ، ولا العتل الزنيم " فقال رجل : ما الجواظ ؟ وما الجعظرى ؟ وما العتل الزنيم ؟

---

[١] مفاتيح الغيب (١٥/٦٥٥)

[٢] تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٦٩٦٠)

[٣] صحيح البخارى - كتاب التفسير - باب : عتل بعد ذلك زنيم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم – : " الجواظ الذى جمع ومنع ، والجعظرى : الغليظ ، والعتل الزنيم : الشديد الخلق ، الرحيب الجوف ، المصحح الأكول ، الشروب الواجد للطعام ، الظلوم للناس " [١]

و(الزنيم) الملصق بالقوم الدعى - ذكره ابن عباس وغيره : والمراد به ولد الزنا .

قال حسان :

زنيم تداعاه الرجال زيادة ... كما زيد فى عرض الأديم [٢]الأكارع [٣]

وقال سعيد بن المسيب وعكرمة : هو ولد الزنا .

وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم [٤]

وكذا جاء عن عكرمة وأنشد :

زنيم ليس يعرف من أبوه ... بغى الام ذو حسب لئيم

وقال حسان :

وأنت زنيم نيط فى آل هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

والزنمة فى كل شيء : الزيادة .

فالحاصل : ان الزنيم و ولد الزنا الملحق بالقوم فى النسب وليس منهم .

---

[١] رواة الامام أحمد فى المسند (٢٢٧/٤) بلفظ : " لايدخل الجنة الجواظ والجعظرى والعتل الزنيم " مؤسسة قرطبة .

[٢] أديم كل شيء : ظاهر جلده ، وقال ابن الأعرابى : معناه كريم الجلد غليظه جيده (لسان العرب - مادة : ادم) .

[٣] كرع الناس : سفلتهم ، وأكارع الناس السفلة ، شبهوا باكارع الدواب ، والكرع : الدنيء النفس (المصدر السابق مادة : كرع)

[٤] السنخ : الأصل من كل شيء ، والجمع أسناخ وسنوخ ، وسنخ كل شيء أصله (المصدر السابق مادة : سنخ)

قال الألوسي :

إنما كان هذا أشد المعايب ، لأن الغالب ان النطفة إذا خبث خبث الناشيء منها ، ومن ثم قال - صلى الله عليه وسلم - " فرخ الزنا - اى ولده - لا يدخل الجنة "[١] فهو محمول على الغالب فإنه فى الغالب لخباثة نطفته يكون خبيثا لا خير فيه أصلا ، فلا يعمل عملا يدخل به الجنة .

وقال بعض الأجلة : هذا خارج مخرج التهديد ، والتعريض بالزانى .

وحمل على إنه لا يدخل الجنة مع السابقين لحديث الدارمى عن عبدالله بن عمرو مرفوعا : " لا يدخل الجنة عاق ، ولا ولد زينة ، ولا منان ، ولا مدمن خمر " [٢]

فإنه سلك فى قرن العاق والمنان ومدمن الخمر ، ولا ارتياب إنهم عند أهل السنة ليسوا من زمرة من لا يدخل الجنة أبدا .

وقيل : المراد إنه لا يدخل الجنة بعمل أبويه إذا مات صغيرا بل يدخلها بمحض فضل الله - تعالى - ورحمته - سبحانه- كأطفال الكفار عند الجمهور .

وعن ابن عباس : ان الزنيم هو الذى يعرف بالشر كما تعرف الشاة بالزنمة .

ولا حاجة إلى كثرة الأستشهاد فى هذا الباب ، وفى قول الشاعر الأكتفاء وهو :

ولكم بذلت لك المودة ناصحا ... فغدوت تسلك فى الطريق الأعوج

ولكم رجوتك للجميل وفعله ... يوما فنادانى النهى لا ترتج [٣]

وبالجملة فهذه الآيات قد وصفته بثمانى صفات :

الصفة الأولى : كونه حلافا ، والحلاف كثير الحلف فى الحق والباطل

---

[١] رواه الدارمى بلفظ :" عن عبد الله بن عمرو عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال :" لا يدخل الجنة ولد زينة ولا منان ولا عاق ولا مدمن خمر " سنن الدارمى - كتاب الأشربة - باب فى مدمن الخمر (١١٢/٢) دار الفكر (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

[٢] سنن الدارمى - كتاب الأشربة - باب فى مدمن لخمر (٢/ ١١٢) .

[٣] روح المعاني للألوسى (٢٩/ ٢٧) وما بعدها .

والله تعالى يقول : [ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم] [١]

الصفة الثانية : كونه " مهينا " ، قال الزجاج : هو فعيل من المهانة .

الصفة الثالثة : كونه " همازا " وهو العياب الطعان .

قال المبرد : الذى يهمز الناس ، أي يذكرهم بالمكروه ، وأثر ذلك يظهر العيب .

الصفة الرابعة : كونه " مشاء بنميم " اى يمشى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم .

الصفة الخامسة : كونه " مناعا للخير "

الصفة السادسة : كونه " معتديا " قال مقاتل : معناه إنه ظلوم يتعدى الحق ويتجاوزه فيأتى بالظلم ، ويمكن حمله على جميع الأخلاق الذميمة .

الصفة السابعة : كونه " أثيما " وهو مبالغة فى الأثم . [٢]

الصفة الثامنة : العتل ، وتقدم تعريفه ، و أقوال المفسرين فيه .

[أن كان ذا مال وبنين . إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين] [٣]

قال العكبرى : " أن كان " ، يقرأ بكسرة الهمزة على الشرط ، وبفتحها على إنها مصدرية ، فجواب الشرط محذوف دل عليه : [إذا تتلى] أى إن كان ذا مال يكفر ، و إذا جعلته مصدرا كان التقدير : لأن كان ذا مال يكفر [٤] .

أى : لا تطع من هذه مثالبة لكونه ذا مال وبنين .

قال الفراء والزجاج : أى لأن كان ، أى : لا تطعه لماله وبنيه .

وقرأ الجمهور : " أن كان ذا مال " بهمزة واحدة على أنه خبر وقرأ حمزة وابن عامر وأبو جعفر " أأن كان " بهمزتين مخففتين فهو استفهام إنكارى[٥] ، وعلى قراءة الاستفهام يكون المراد به التوبيخ والتفريع حيث جعل مجازاة النعم التى خوله الله من المال والبنين أن كفر به وبرسوله .

---

[١] سورة البقرة /٢٢٤ .

[٢] باختصار وتصرف من مفاتيح الغيب للفخر الرازى (١٥/٦٥٤) وما بعدها .

[٣] الآيتان ١٤، ١٥ من السورة المباركة .

[٤] التبيان فى إعراب القرآن (٢/ ٤٦٢) .

[٥] النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (١/٣٦٧) مطبعة مصطفى محمد بمصر د / ت .

والمراد : كل من كان ذا مال وبنين من كبراء المشركين كقوله تعالى : [وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا] [١]

وكان الوليد بن المغيرة ذا سعة فى المال كثير الأبناء ، وهو المعنى بقوله تعالى: [ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا . وبنين شهودا . مهدت له تمهيدا ... إلى قوله : [إن هذا إلا قول البشر] [٢]

وجملة : [إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين] مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهى .

ومعنى [أساطير الأولين] .

الأساطير : جمع أسطورة ، وهى القصة مكتوبة كانت أو محكية .

" ويعلم من ذلك إنه ليس منزلا من ربهم لأن أساطير الأولين لا تكون منزلة من الله"[٣] .

وكان العرب يطلقونه على ما يتسامر الناس به من القصص والأخبار على اختلاف من صدق وكذب ، وقد كانوا لا يميزون بين التواريخ والقصص والخرافات فجميع ذلك مرمى بالكذب والمبالغة .

فقولهم : " إن هذا إلا أساطير الأولين "

يحتمل إنهم أرادوا أن القرآن لا يخرج عن كونه مجموع قصص و أساطير يعنون إنه لا يستحق أن يكون من عند الله لإنهم لقصور أفهامهم أو لتجاهلهم يعرضون عن الأعتبار المقصود من تلك القصص ويأخذونها بمنزلة الخرافات التى يتسامر الناس بها لتقصير الوقت.[٤]

[سنسمه على الخرطوم] [٥]

---

[١] سورة المزمل / ١١ .

[٢] سورة المدثر / ١١ : ٢٥ .

[٣] التحرير ولتنوير (١٣٢/٧).

[٤] المصدر السابق (٤/ ١٨٢) .

[٥] الآية ١٦ من السورة المباركة .

سنجعل له سمة وعلامة على أنفه ، والخرطوم : الأنف [١] وهو من باب اطلاق مشفر على شفة غليظة لإنسان .

وعبر بذلك عن غاية الإذلال لأن السمة على الوجه شين حتى إنه - صلى الله عليه وسلم - نهى عنه فى الحيوانات ، ولعن فاعله ، فكيف على أكرم موضع منه وهو الأنف لتقدمه .

وقد قيل الجمال فى الأنف وعليه قول بعض الأدباء .

وحسن الفتى فى الأنف والأنف عاطل .. فكيف إذا ما الخال كان له حليا .

وجعلوه مكان العزة والحمية ، واشتقوا منه الأنفة .

وفى لفظ " الخرطوم " استهانة لإنه لا يستعمل ألا فى الفيل و الخنزير ، ففى التعبير عن الأنف بهذا الاسم ترشيح لما دل عليه الوسم على العضو المخصوص من الإذلال ، والمراد : سنهينه فى الدنيا ونذله غاية الإذلال [٢]

وقال ابن العربى فى قوله تعالى : [سنسمه على الخرطوم] .

ذكر أهل التفسير قولين :

الأول : إنها سمة سوداء تكون على أنفه يوم القيامة يميز بها بين الناس ، وهذا كقوله : [يعرف المجرمون بسيماهم] [٣]

الثانى : يضرب بالنار على أنفه يوم القيامة .

قال تعالى : [يوم تبيض وجوه وتسود وجوه] [٤] فهذه علامة ظاهرة .

وقال : [يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا . يتخافتون بينهم ان لبثتم إلا عشرا] [٥] وهذه علامة أخرى ظاهرة .

---

[١] بلغة مذحج : لغات العرب الواردة فى القرآن الكريم للامام أبى عبيد القاسم بن سلام والمطبوع بهامش تفسير الجلالين (٢/٢٢٠) ط : دار التراث - د/ت .

[٢] روح المعانى للألوسى (٢٩/ ٢٩) .

[٣] سورة الرحمن / ٤١ .

[٤] سورة آل عمران / ١٠٦ .

[٥] سورة طه / ١٠٢ ، ١٠٣ .

وأفادت هذه الآية علامة ثالثة وهى : الوسم على الخرطوم من جملة الوجه .[١]

[إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين . ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم . فتنادوا مصبحين . أن اغدوا على حرثكم إن كنت صارمين . فانطلقوا وهم يتخافتون . أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين . وغدوا على حرد قادرين . فلما رأوها قالوا انا لضالون . بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين . عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون . كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون] [٢]

مناسبة هذه الآيات لما قبلها :

لما قال : " لأجل أن كان ذا مال وبنين ، جحد وكفر وعصى وتمرد ، وكان هذا استفهاما على سبيل الإنكار بين فى هذه الآية إنه - تعالى - أعطاه المال والبنين على سبيل الابتلاء والامتحان وليَصرفه إلى طاعة الله ، وليواظب على شكر نعم الله ، فان لم يفعل ذلك فإنه - تعالى - يقطع عنه تلك النعم ، ويصب عليه أنواع البلاء والآفات ، فقال : [إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة] .

أى كلفنا هؤلاء أن يشكروا على النعم كما كلفنا أصحاب الجنة ذات الثمار أن يشكروا ويعطوا الفقراء حقوقهم . [٣]

وهذا مثل ضربه الله - تعالى - لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة ، وأعطاهم من النعمة الجسيمة وهو بعثة - محمد - صلى الله عليه وسلم - إليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ولهذا قال تعالى : [إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة] . [٤]

---

[١] أحكام القرآن لأبى بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربى (٤/ ١٧٥٧) ، تحقيق : على محمد البجاوى - ط : دار الفكر - د/ت .

[٢] الآيات ١٧ : ٣٣ .

[٣] مفاتيح الغيب للفخر الرازى (١٥/ ٦٦٠) .

[٤] تفسير القرآن العظيم لأبن كثير (٤/ ٤٠٦) .

قال السيوطى فى الدر المنثور :

أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : [كما بلونا أصحاب الجنة] قال : هم ناس من الحبشة كانت لأبيهم جنة ، وكان يطعم منها السائلين فمات أبوهم فقال بنوه : إن كان أبونا لأحمق يطعم المساكين ، فأقسموا ليصرمنها مصبحين ، وأن لا يطعموا مسكينا . [١]

وقال الامام النسفى : [إنا بلوناهم] امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرمم بدعاء النبى – صلى الله عليه وسلم – حيث قال: " اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها سنى كسنى يوسف " .

وأصحاب الجنة : قوم من أهل الصلات كانت لأبيهم هذه الجنة بقرية يقال لها : ضروان ، وكانت على فرسخين من صنعاء ، وكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقى على الفقراء .

فلما مات قال بنوه : إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن أولوا عيال فحلفوا ليصرمنها فى السدف [٢] خيفة من المساكين ولم يستثنوا فى يمينهم فأحرق الله جنتهم .

وقال الحسن : كانوا كفارا . والجمهور على الأول . [٣]

[إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين] أى حلفوا ليقطعن ثمر نخلهم فى الصباح ، والصرم : القطع للثمر والزرع ، وانتصاب (مصبحين) على الحال من فاعل (ليصرمنها) (ولا يستثنون) يعنى : ولا يقولون إن شاء الله .

وقيل : ولا يستثنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذى كان يدفعه أبوهم إليهم .

فإن قيل : كيف قال الله – تعالى – [ولا يستثنون] أى : ولا يقولون : إن شاء الله فسمى الشرط استثناء ؟

---

[١] الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى (٦/ ٣٩٥) .

[٢] السدف : ظلمة الليل ، والجمع : أسداف (لسان العرب – مادة : سدف) .

[٣] تفسير النسفى (٢٨١/٢) ط : دار احياء الكتب العربية د/ت .

قلنا : إنما سماه استثناء لإنه فى معناه ، فان معنى قولك : لأخرجن إن شاء الله ، ولا أخرج الا أن يشاء الله : واحد .

وقال عكرمة : المراد به حقيقة الاستثناء : أى إنهم لا يستثنون حق المساكين من ثمرتهم ، والجمهور على الأول . [١]

[فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون] .

الطواف : المشى حول شيء من جميع جوانبه ، يقال طاف بالكعبة ، وأريد به هنا : تمثيل حالة الإصابة لشيء كله بحال من يطوف بمكان .

قال تعالى : [إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون] [٢] .

وعدى (طاف) بحرف (على) لتضمينه معنى : تسلط أو أنزل .

ولم يعين جنس الطائف لظهور إنه من جنس ما يصيب الجنان من الهلاك [٣] .

وقيل : هو نار أحرقتها حتى صارت سوداء - قاله مقاتل .

وقيل : الطائف جبريل اقتلعها .

ونون (طائف) للتعظيم .

والصواب عدم التعيين .

(من ربك) مبتدىء من جهته - تعالى - والمراد إنه عذاب أرسل إليهم عقابا لهم على عدم شكر النعمة .

[وهم نائمون] فى موضع الحال ، والمرد أتاها ليلاً .

---

[١] غرائب آى التنزيل للرازى الحنفى ص (٤٩٧) تحقيق الشيخ ابراهيم عطوة عوض وجماعة من العلماء - مجلة الأزهر ، وجامع البيان فى متشابه القرآن (٤٠٣/٢) د/ زكى محمد ابوسريع ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) .

[٢] سورة الأعراف / ٢٠١ .

[٣] التحرير والتنوير لابن عاشور (٨١/١٤).

[فأصبحت كالصريم] كالبستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء ، وفعيل بمعنى مفعول ، وقال ابن عباس : كالرماد الأسود .

والصريم قيل : هو الليل ، والصريم من أسماء الليل و أسماء النهار لأن كل واحد منها ينصرم عن الأخر .

[فتنادوا مصبحين]

(فاء) " فتنادوا " للتفريع على " أقسموا ليصرمنها مصبحين "

أى : فلما أصبحوا تنادوا لإنجاز ما بيتوا عليه امرهم .

والتنادى : أن ينادى بعضهم بعضا ، وهو مشعر بالتحريض على الغدو إلى جنتهم مبكرين.[1]

[أن أغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين] .

أن : تفسيرية ، واغدوا بمعنى : اخرجوا .

والغدو : الخروج ومغادرة المكان فى أول النهار.

و(على حرثكم) آثر لفظ (على) دون (إلى) لأن الغدو إليه ليصرموه كان غدوا عليه .

أو : ضمن معنى الإقبال ، أى فأقبلوا على حرثكم باكرين .

والحرث : شق الأرض بحديدة ونحوها ليوضع فيها الزريعة أو الشجر وليزال منها العشب

ويطلق الحرث على الجنة لإنهم يتعاهدونها بالحرث لإصلاح شجره .

وهو المراد هنا .

[إن كنتم صارمين] مريدين قطع ثماره .

والمراد من الشرط : التحريض ، وهو مستعمل فى الأستبطاء .

ومنه قول عبد الله بن عمر للحجاج عند زوال عرفة يحرضه على التهجير بالرواح إلى الموقف : " الرواح ان كنت تريد السنة " ونظيره كثير فى الكلام .

[فانطلقوا وهم يتخافتون]

---

[1] المصدر السابق (١٤/ ٨٢) .

يتخافتون : يتسارون فيما بينهم ، أى : يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم أحد .

قاله عطاء وقتادة .

وهو من : خفت يخفف إذا سكن ولم يتبين .

قال دريد بن الصمة :

وإنى لم أهلك سلالا ولم امت ... خفاتا وكلا ظنه بى عودى

وقيل : يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يرونهم ، وكان أبوهم يخبر الفقراء والمساكين فيحضروا وقت الحصاد والصرام .[١] .

و [أن لا يدخلها اليوم عليكم مسكين] تفسير لفعل " يتخافتون "

و "أن " تفسيرية ، وفيها معنى القول دون حروفه .

ويؤيد هذا الرأى ، قراءة عبدالله وابن أبى عبلة بإسقاطها .

أو مصدرية ، والتقدير بـ " أن" [٢]

وتاكيد فعل النهى بنون التوكيد لزيادة تحقيق ما تقاسموا عليه .

وأسند إلى " مسكين " فعل النهى عن الدخول ، والمراد : نهى بعضهم بعضا عن دخول المسكين إلى جنتهم ، أى : لا يترك أحد مسكينا يدخلها .

وهذا من قبيل الكناية وهو كثير فى استعمال النهى كقولهم : لا أعرفنك تفعل كذا .[١]

[وغدوا على حرد قادرين]

الحرد : المنع ، ومنه حاردت السنة إذا قل مطرها ، ومنعت ربعها ، وحاردت الناقة إذا منعت لبنها فقل اللبن .

وسمى الغضب بالحرد لإنه مانع من أن يدخل المغضوب منه فى الوجود .

والمعنى : وغدوا وكانوا عند أنفسم وفى ظنهم قادرين على منع المساكين .

والحرد : القصد والسرعة ، يقال : حردت حردك .

---

[١] تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن (٦٩٦٩/١٠)

[٢] روح المعانى للألوسى (٣١/٢٩)

[١] التحرير والتنوير (٨٣/١٤)

ومنه قول الشاعر :

أقبل سيل جاء من امر الله ... يحرد حرد الجنة المغلة

قال المبرد : المغلة : ذات الغلة .

وقال غيره : المغلة التى يجرى الماء فى غللها . أى فى اصولها .

والمعنى : وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند انفسهم يقولون : نحن نقدر على صرامها ومنع منفعتها عن المساكين .[١]

وجملة : [وغدوا على حرد قادرين] فى موضع الحال بتقدير (قد) اى انطلقوا فى حال كونهم غادين قادرين على حرد .

وفى ايثار كلمة " حرد " فى الآية نكتة من نكت الاعجاز المتعلق بشرف اللفظ ورشاقته من حيث المعنى . ومن جهة تعلق المجرور به بما يناسب كل معنى من معانيه .

اى : بان يتعلق " على حرد " بـ " قادرين " أو بقوله : " غدوا "

فاذا علق بـ " قادرين " فتقديم المتعلق يفيد تخصيصا ، أى : قادرين على المنع ، أى منع الخير ، أو منع ثمر جنتهم غير قادرين على النفع .

هذا ان أطلق " الحرد " على المنع .

واذا حمل " الحرد " على معنى السرعة والقصد كان " على حرد " متعلق بـ (غدوا) مبينا لنوع الغدو ، أى : غدو سرعة واعتناء فتكون " على ، بمعنى باء المصاحبة[٢] .

---

[١] باختصار وتصرف من مفاتيح الغيب للفخر الرازى (٦٦٣/١٥) .

[٢] ترد " على " للمصاحبة وذلك لبيان الإيثار والتفضل : " وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم " (والأصلان فى علوم القرآن د / محمد عبد المنعم (ص ٢٧٢) د : الطباعة المحمدية ط : ٣ (١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م) .

والمعنى : غدوا بسرعة ونشاط ، ويكون قادرين حالا من ضمير (غدوا) حالا مقدرة ، أى : مقدرين إنهم قادرون على تحقيق ما أرادوا .

وفى الكلام تعريض بإنهم خابوا دل عليه قوله بعده : [فلما رأوها قالوا انا لضالون] وقوله قبله : [فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون] [١] .

[فلما راوها] أول ما وقع نظرهم عليها ورأوها محترقة لا شيء فيها قد صارت كالليل الأسود قال بعضهم لبعض : [انا لضالون] . أى ضللنا الطريق إلى جنتنا . [٢]

ثم لما تاملوا وعرفوا إنها هى قالوا : [بل نحن محرومون] حرمنا خيرها بسبب عزمنا على البخل ومنع الفقراء حقهم منها .

ومن حكم الشيخ ابن عطاء الله السكندرى [٣] : " من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها " .

وأفادت (لما) اقتران جوابها بشرطها بالفور والبداهة ، والمقصود من هذا التعريض للمشركين [بأن يكون حالهم فى تدارك امرهم ، وسرعة إنابتهم كحال أصحاب هذه الجنة إذ بادروا بالندم ، وسألوا الله عوض خير .

واسناد هذه المقالة إلى ضمير " أصحاب الجنة " يقتضى إنهم قالوه جميعا ، أى اتفقوا على ادراك سبب ما أصابهم .

---

[١] التحرير والتنوير (١٤/٨٤) .

[٢] الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز (٣٠/٢) لأبى عبدالله الحسين بن محمد الدمغانى ، تحقيق : محمد حسن ابوالعزم الزفيتى - " وهو من أنواع الضلال الثمانية ، وهو فى هذه الآية بمعنى الخطأ - القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) .

[٣] ابن عطاء الله السكندرى (٠٠٠ - ٧٠٩هـ - ٠٠٠ - ١٢٠٩م) ، احمد بن محمد عبدالكريم ، ابوالفضل ، متصوف ، شاذلى من العلماء . ومن تصانيفه : الحكم العطائية - ط: فى التصوف ، وتاج العروس - ط فى الوصايا ، والعظات ، ولطائف المنن فى مناقب المرسى وابى الحسن - ط ، توفى بالقاهرة (الأعلام (١/٢١٣) ط٣ وترجمته فى الدرر الكامنة (١/٢٧٣).

وأكدوا الكلام لتنزيل أنفسهم منزلة من يشك فى أنهم ضالون طريق الخير لقرب عهدهم بالغفلة عن ضلالهم ففيه إيذان بالتحسر والندم . [١]

[بل نحن محرومون] حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا .

والاضراب للأنتقال [٢] إلى ما هو اهم بالنظر لحال حرمانهم لما بيتوا حرمان المساكين وان الحرمان الأعظم قد اختص بهم إذ ليس حرمان المساكين بشيء فى جانب حرمانهم .

[قال أوسطهم] أى : أحسنهم وأرجحهم عقلا ورأيا وأوسطهم سنا وأفضلهم وأقربهم إلى الخير .

والوسط يطلق على الخير الأفضل كما قال تعالى :[وكذلك جعلناكم امة وسطا] [٣]

[ألم اقل لكم لولا تسبحون] أى لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون إليه من حيث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك . اذكروا الله - تعالى - وتوبوا عن هذه النية الخبيثة من فوركم ، وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم ويدل عَلى هذا المعنى قوله - تعالى - : [قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين] [٤] .

وهذه الجملة إقرار بالذنب ، والتأكيد تحقيق الاقرار والاهتمام به .

وحذف مفعول : " ظالمين " ليعم ظلمهم أنفسهم بما جروه على أنفسهم من سلب النعمة ، وظلم المساكين تمنعهم من حقهم فى المال .

فإن قيل : كيف سمى الأستثناء تسبيحا ؟ لأن المعنى : لولا تسبحون ؟

---

[١] التحرير والتنوير (٨٦/١٤)

[٢] بل : إن تلاها جملة فهى للإضراب ، وهو نوعان : اما ابطالى : أى ابطال ما قبلها واثبات ما بعدها ، ومنه قوله تعالى " وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون " ، واما للاضراب الانتقالى : ومعناه ابقاء ما قبلها على ما هو عليه واثبات ما بعدها كما فى هذه الآية وقوله تعالى : " ولدينا كتاب ينطق بالحق وهو لا يظلمون بل قلوبهم فى غمرة من هذا " (الأصلان فى علوم القرآن ص (٢٦٧) د/ محمد عبدالمنعم القيعى ط٣ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) دار الطباعة المحمدية)

[٣] سورة البقرة /١٤٢ .

[٤] روح المعانى للألوسى (٣٢/٢٩)

والجواب أنه سماة تسبيحا لاشتراكهما فى معنى التعظيم ، لأن الاستثناء تفويض إليه وإقرار بأنه لا يقدر أحد على أن يفعل فعلا الا بمشيئته والتسبيح . تنزيه له عن السوء .

وقيل : انما كان استثناؤه قول : سبحان الله .

وقيل المعنى : لولا تنزهون أنفسكم واموالكم عن حق الفقراء !!

وقيل المعنى : هلا تعظمون الله بعبادته واتباع امره .

وقيل المعنى : هلا تذكرون نعم الله عليكم فتؤدوا شكرها بأن تخرجوا حق الفقـراء من اموالكم

وقيل المعنى : هلا نزهتم الله - تعالى - عن الظلم واعترفتم بإنه لا يظلم ولا يرضى منكم بالظلم .

وقيل المعنى : لم لا تصلون[١] ؟

ولما كان رأيهم مجمعا على حرمان المساكين أخذ كل منهم يلوم الآخر على ما وقع منهم بمنع ما كان يفعله ابوهم مع المساكين ، وعزمهم على هذا العزم الذميم . فكـان قولـه : [وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون] مصور لحالتهم التى كانوا عليها .

يصور الامام الفخر هذا التلاوم فيقول :

قوله : [فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون] أى : يلوم بعضهم بعضا .

يقول هذا لهذا : أنت اشرت علينا بهذا الرأى .

ويقول ذاك لا لهذا : انت خوفتنا بالفقر .

ويقول الثالث لغيره : أنت الذى أرغبتنى فى جمع المال . فهذا هو التلاوم [٢]

ثم نادوا على انفسهم بالويل حيث : [قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين] أى : عـاصين متجاوزين حدود الله بمنع الفقراء ، وترك الاستثناء .

قال ابن كيسان : أى طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها ابونا من قبل .

---

[١] مسائل الرازى ص (٤٩٧) وجامع البيان فى متشابه القرآن (٤٠٣/٢)

[٢] مفاتيح الغيب للفخر الرازى (٦٦٥/١٥)

والطغيان : تجاوز الحد المتعارف فى الكبر والتعاظم[١] .

والمعنى : انا كنا طاغين على حدود الله .

ثم رجعوا إلى الله وسألوه إن يعوضهم بخير منها فقالوا : [عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها] ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة .

قيل : إنهم تعاقدوا فيما بينهم وقالوا : إن أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله فابدلهم من ليلتهم ما هو خير منها .

وجملة : [إنا إلى ربنا راغبون] بدل من جملة الرجاء ، أى هو رجاء مشتمل على رغبة إليه بالقبول والاستجابة .

والمقصود من الإطناب فى قولهم بعد حلول العذاب بهم تلقين الذين ضرب لهم هذا مثلا بان فى مكنتهم الاتابة إلى الله بنبذ الكفران لنعمته إذ أشركوا به من لا إنعام لهم عليهم.[٢]

وأصحاب الجنة خرجوا لينتفعوا بالجنة ، ويمنعوا الفقراء عنها فقلب الله عليهم القضية فكذا أهل مكة لما خرجوا إلى بدر حلفوا على أن يقتلوا محمدا وأصحابه ، و إذا رجعوا إلى مكة طافوا بالكعبة ، وشربوا الخمور فاخلف الله ظنهم فقتلوا وأسروا كأهل هذه الجنة .

فهذا مثل ضربه الله - عز وجل - ليعتبر به كفار مكة ومن على شاكلتهم فى كل عصر وأوان إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول الأصوليون .

[كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون]

أى مثل ذلك العذاب الذى بلوناهم به - أهل الجنة - وبلونا أهل مكة من الجدب الشديد - عذاب الدنيا .

[ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون] أى أشد وأعظم لو كان المشركون يعلمون أنه كذلك ولكنهم لا يعلمون .

[إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم .أفنجعل المسلمين كالمجرمين . ما لكم كيف تحكمون . أم لكم كتاب فيه تدرسون . إن لكم فيه لما تخيرون . أم لكم أيمان علينا بالغة

---

[١] التعريفات للجرجانى (على بن محمد بن على) ص ١٨٣ تحقيق : إبراهيم الأبيارى ــ دار الريان للتراث .

[٢] فتح القدير للشوكانى (٢٧٣/٥) وروح المعنى للألوسى (٣٢/٢٩) والتحرير والتنوير (٨٨/١٤) .

إلى يوم القيامة أن لكم لما تحكمون . سلهم أيهم بذلك زعيم . أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين][1]

ومناسبة هذه الآيات لما قبلها :

أن المولى – عز وجل– لما فرغ من ذكر حال الكفار وتشبيه ابتائهم بابتلاء أصحاب الجنة المذكورة ذكر حال المتقين وما أعده الله لهم من الخير فقال : [إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم]

ومعنى قوله – تعالى – : [جنات النعيم] أى جنات ليس لهم فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا كالحر فى بعض الأوقات ، أو شدة البرد أو مثل الحشرات والزنابير ، أو مايؤذى مثل شوك الأزهار وروث الدواب ، وذرق الطير .

واللام فى قوله : " للمتقين " لام الاستحقاق ، و"عند " ظرف متعلق بمعنى الكون الذى يقتضيه حرف الجر ، وقدم للأهتمام ، والعندية هنا : عندية كرامة واعتناء .

قال العكبرى[2]: قوله – تعالى – " عند ربهم " يجوز أن يكون ظرفا للاستقرار ، وأن يكون حالا من جنات[3] .

قال مقاتل : لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين أن الله – تعالى – فضلنا عليكم فى الدنيا فلابد وأن يفضلنا عليكم فى الآخرة ، فإن لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة ثم إن الله – تعالى – أجاب عن هذا الكلام بقوله : [أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون]

---

[1] الأيات ٣٤ : ٤١ من السورة المباركة .

[2] أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن أبى البقاء العكبرى و"عكبرا" بليدة على دجلة ولد فى أول سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ببغداد من مؤلفاته وشروحه " فى التفسير والفقه والفرائض " له تفسير القرآن ، متشابه القرآن ، عدد آى القرآن ، وله مؤلفات فى علم الكلام والحساب ، وفى اللغة والأدب وفى الإعراب له إعراب القرآن المسمى " التبيان فى إعراب القرآن وفيه يعرض لأهم وجوه القراءات ، ويعرب جميع آى القرآن ومات ليلة الأحد ثامن ربيع الآخر سنة ستة عشرة وستمائة ، له ترجمة فى بغية الوعاة فى طبقات اللغوين والنحاة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٣٨/٢ برقم ١٣٧٥ تحقيق محمد أبلو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية صيدا لبنان (د ت) .

[3] التحرير والتنوير (٩٠/١٤) والتبيان فى إعراب القرآن (٤٦٣/٢)

الهمزة للإنكار ، والفاء للتفريع يقتضى أن هذا الكلام متفرع على ما قبله من استحقاق المتقين جنات النعيم ، ومقابلته بتهديد المشركين بعذاب الدنيا والآخرة .

ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده: [ما لكم كيف تحكمون] تعجبا لحكمهم ، واستبعادا له ، وايذانا بإنه لا يصدر من عاقل[١] .

وإنكار جعل الفريقين متشابهين كناية عن إعطاء المسلمين جزاء الخير فى الآخرة وحرمان المشركين منه ؛ لأن نفى التساوى وارد فى معنى التضاد فى الخير والشر فى القرآن الكريم وكلام العرب .

قال تعالى : [أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون] [٢]

وقال : [أم نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار] [٣]

وقال السموءل أو الحارثى :

سلى إن جهلت الناس عنا وعنهم ... فليس سواء عالم و جهول

وإذا انتفى أن يكون المشركين حظ فى جزاء الخير انتفى ما قالوه من أنهم أفضل حظا فى الآخرة من المسلمين كما هو حالهم بطريق فحوى الخطاب [٤]

[أم لكم كتاب فيه تدرسون . إن لكم فيه لما تخيرون]

أى : ألكم كتاب نازل من السماء تقرأون فيه فتجدون المطيع كالعاصى ، وتختارون ما يشتهون .

يقال تخير الشيء واختاره : أخذ خيره ، وشاع فى أخذ ما يريده مطلقا .

وقوله : [أم لكم كتاب فيه تدرسون]

---

[١] روح المعانى للألوسى (٢٩/٣٣) .

[٢] سورة السجدة /١٨

[٣] سورة ص / ٢٨ .

[٤] التحرير والتنوير (١٤/٩٢) .

إضراب انتقال من توبيخ إلى احتجاج على كذبهم .

[أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون]

[أم] للانتقال إلى دليل آخر ، وهى نفى أن يكون مستند زعمهم عهدا أخذوه على الله لأنفسهم ان يعاملهم يوم القيامة بما يحكمون به لأنفسهم .

والأستفهام إنكارى ، " وبالغة " مؤكدة .

وأصل البالغة : الواصلة إلى ما يطلب منها ، وذلك استعارة لمعنى مغلظة ، شبهت بالشيء البالغ إلى نهاية سيره وذلك كقوله تعالى :

[قل فلله الحجة البالغة] [١]

وقوله : " علينا " صفة ثانية لـ " أيمان " أى : أقسمناها لكم لإثبات حقكم علينا .

و (إلى يوم القيامة) صفة ثالثة لـ (أيمان) أى ايمان مؤيدة لا تحلة منها .

وجملة (ان لكم لما تحكمون) بيان لـ (أيمان)

ومعنى : (لما تحكمون) تامرون به دون مراجعة .

يقال : نزل على حكم فلان : أى وكلوا تعيين حقهم إلى فلان

قال خطاب أو حطان بن المعلى :

أنزلنى الدهر على حكمه ... من شامخ عال إلى خفض

أى : دون اختيار لى ، ولا عمل عملته فكأننى حكمت الدهر فى فأنزلنى من معاقلى وتصرف فى كما يشاء .[٢]

[سلهم أيهم بذلك زعيم]

أى : سل يا محمد الكفار موبخالهم ومقرعا أيهم بذلك الحكم الخارج عن الصواب ، كفيل لهم بان لهم فى الآخرة ما للمسلمين فيها [٣] .

ويقول الألوسى :" تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باسقاطهم عن رتبة الخطاب ، أى سلهم مبكتالهم .

---

[١] سورة الأنعام / ١٤٩ .

[٢] التحرير والتنوير (٩٥/١٤) .

[٣] فتح القدير للشوكانى (٢٧٥/٥) .

والاستفهام مستعمل فى التهكم زيادة على الإنكار عليهم .

وقوله : [أيهم بذلك] الحكم الخارجى عن دائرة العقول .

[زعيم] قائم يتصدى لتصحيحه [١] .

[أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين]

أم لهم شركاء يشاركونهم فى هذا القول ويوافقونهم فيه (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) فيمايقولون ، وهو امر تعجيز .

والمعنى : أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين فى الآخرة من امر التسوية .

قال الألوسى :" وقد نبه - سبحانه وتعالى - فى هذه الآيات على نفى جميع ما يمكن ان يتعلقوا به فى تحقيق دعواهم .

حيث نبه - جل شأنه - على نفس الدليل العقلى بقوله تعالى :[كيف تحكمون] ؟

وعلى نفى الدليل النقلى بقوله - تعالى - : [أم لكم كتاب فيه تدرسون]

وعلى نفى ان يكون الله - تعالى - وعدهم بذلك - ووعد الكريم دين - بقوله - سبحانه : [أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون]

وعلى نفى التقليد الذى هو أوهن من حبال القمر [٢] بقوله -تعالى : [أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين] .

وقيل المعنى : أم لهم آلهة عدوها شركاء فى الالهية تجعلهم كالمسلمين فى الآخرة[٣].

[يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون . خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون] [٤]

---

[١] روح المعانى (٤٣/٢٩) .

[٢] حبال القمر : نوره ، والعرب تشبه النور الممتد بالحبل والخيط . " لسان العرب - مادة : حبل " .

[٣] روح المعانى (٣٤/٢٩) .

[٤] الآيتان ٤٢ :٤٣ من السورة .

مناسبة هاتين الأيتين لما قبلهما :

لما ذكر الله تعالى - أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى -: [يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون] يعنى يوم القيامة وما يكون فيه من الأحوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام .[١]

وقال الإمام البخارى : حدثنا آدم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال زيد بن مسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد - رضى الله عنه - قال : " سمعت النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول :" يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا .[٢]

وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين وفى غيرهما .

وقال عبدالله بن المبارك عن ابن عباس : [يوم يكشف عن ساق] قال هو : يوم القيامة ، يوم كرب وشدة .

وروى عن ابن مسعود وابن عباس قال : عن أمر عظيم .

وقال ابن عباس : هى أشد ساعة تكون يوم القيامة .

وعن مجاهد : [يوم يكشف عن ساق] قال : شدة الامر وجدته [٣]

ومعنى القول الكريم : يوم يشتد الامر كما يشتد ما يحتاج فيه إلى أن يكشف عن ساق .

قال أبو عبيدة : إذا اشتد الحرب والأمر قيل كشف الامر عن ساقه .

وقال الأصفهانى فى غريبه : أصله من تذمير الناقة ، وهو أنه إذا أخرج رجل الفصيل من بطن امه قيقال : كشف عن الساق . [٤]

---

[١] تفسير ابن كثير (٤٠٧/٤).

[٢] صحيح البخارى - كتاب التفسير - باب : يوم يكشف عن ساق .

[٣] فتح البارى بشرح صحيح البخارى (٤٠٨/٨).

[٤] المفردات فى غريب القرآن ص (٩٧/١٤).

وقد استعملت العرب ذلك فى أشعارها .

ومن ذلك قول حاتم :

فتى الحرب إن عضت به الحرب عضها .... وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ويقول الاخر :

والخيل تعدوا عند وقت الاشراق ... وقامت الحرب بنا على ساق

وفى غزوة أحد قال أنس بن مالك :" إنهزم الناس عن النبى - صلى الله عليه وسلم - لقد رأيت عائشة وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغا فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملإنها فلقد شمرت عائشة وأم سليم - رضى الله عنهما - عن سوقهما من شدة الموقف فى هذه الغزوة [١]

وقال الواحدى : قال المفسرون يسجد الخلق كلهم لله سجدة واحدة ويبقى الكفار والمنافقون يريدون ان يسجدوا فلا يستطيعون لأن أصلابهم تيبس فلا تلين للسجود .

وقال الربيع بن أنس : يكشف عن الغطاء فيقع من كان امن بالله فى الدنيا فيسجدون له ويدعى الأخرون إلى السجود فلا يستطيعون .[٢]

وقال الشريف الرضى : قوله سبحانه - : [يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون] وهذه استعارة والمراد بها الكناية عن هول الأمر وشدته ، وعظم الخطب وفظاعته ، لأن من عادة الناس أن يشمروا عن سوقهم عند الامور الصعبة التى يحتاج فيها إلى المعاركة ، ويفزع عندها إلى الدفاع والممانعة ، فيكون تشمير الذيول عند ذلك امكن للقراع ، وأصدق للمصاع [٣] .

وقد جاء فى أشعارهم ذكر ذلك فى غير موضع .

---

[١] التحرير والتنوير (١٤ / ٩٧).

[٢] فتح القدير للشوكانى (٥ / ٢٧٥).

[٣] المصع : التحريك ، وقيل هو عو شديد يحرك فيه الذنب ، ومر يمصع : يسرع .(لسان العرب - مادة : مصع)

قال قيس بن زهير بن جذيمة :

فإن شمرت عن ساقها ... فويها ربيع فلا تسام

وقال الآخر :

قد شمرت عن ساقها فشدوا ... وجدت الحرب فجدوا [١]

[ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون]

جملة : (يدعون) ليس عائدا إلى المشركين مثل ضمير : (إنا بلوناهم) إذ لا يساعده قوله : [وقد كانوا يدعون إلى السجود] فإن المشركين لم يكونوا فى الدنيا يدعون إلى السجود فالوجه أن يكون عائدا إلى غير مذكور .

أى ، ويدعى المدعون فيكون تعريضا بالمنافقين فإنهم يحشرون مع المسلمين ويمتحن الناس بدعائهم إلى السجود ليتميز المؤمنون الخلص عن غيرهم تميز تشريف فلا يستطيع المنافقون السجود فيفتضح كفرهم .

[خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون]

خشوع الابصار : هيئة النظر بالعين بذلة وخوف ، استعير له لفظ " خاشعة " لأن الخاشع يكون مطاطئا مختفيا .

و(ترهقهم ذلة) تحل بهم وتقترب منهم بحرص على التمكن منهم .

وجملة (ترهقهم ذلة) حال ثانية من ضمير " فلا يستطيعون .

وجملة (وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) معترضة بين ما قبلها وما تفرع عنها ، أى كانوا فى الدنيا يدعون إلى السجود لله وحده وهم سالمون من مثل الحالة التى هم عليها فى يوم الحشر .

---

[١] تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى بتحقيق : محمد عبدالغنى حسن ط : دالر احياء الكتب العربية .

وجملة : (وهم سالمون) حال من ضمير (يدعون) [١]

ومعنى ترهقهم ذلة ، أى تغشاهم ذلة شديدة وحسرة وندامة وكآبة [٢]

[وقد كانوا يدعون إلى السجود] أى فى الدنيا (وهم سالمون) أى : معافون عن العلل متمكنون من الفعل .

قال إبراهيم التيمى : يدعون بالأذان والإقامة فيأبون .

وقال سعيد بن جبير : يسمعون حى على الفلاح فلا يجيبون .

وقال كعب الأحبار : والله ما نزلت هذه الأيه الا فى الذين يتخلفون عن الجماعات [٣]

وعلى هاتين الآيتين ترد ثلاثة أسئلة :

الأول : لم قال : [ويدعون إلى السجود] ، ولا تكليف فى الآخرة ؟ !

الثانى : ما كيفية دعائهم إلى السجود فى قوله :[وقد كانوا يدعون إلى السجود] ؟

الثالث : لم قال [وهم سالمون] مع ان الصحة ليست شرطا لوجوب الصلاة ؟

والجواب عن الأول :

إنهم لا يدعون إليه تكليفا وتعبدا ، ولكن توبيخا وتعنيفا على تركه فى الدنيا

وقيل : إن شدة الامر وصعوبة ذلك اليوم تدعوهم إلى السجود وان كانوا لا ينتفعون بـه ، وليس إنهم يؤمرون به .

وهكذا كما يفزع الإنسان إلى السجود إذا أصابه هول من أهوال الدنيا .

---

[١] التحرير والتنوير (١٤/ ٩٩) .

[٢] الوجوه والنظائر للفاظ القرآن (١/ ٢٧٦)

[٣] فتح القدير للشوكانى (٥/ ٢٧٦)

والجواب عن الثانى :

ان المراد بالأية : دعاؤهم إلى الجماعات بأن المؤذن حين يقول : حى على الصلاة فعبر عن الصلاة بالسجود ، لإنه من أركانها ، بل هو أعظم الأركان وغايتها كما عبر بالركوع وبالقرآن .

والجواب عن الثالث :

أن الصحة وإن لم تكن شرطا لوجوب الصلاة لكنها شرط فى وجوب الخروج إلى الصلاة .

وقيل معنى : (وهم سالمون) أى : يستطيعون الأخذ بما أمروا به ، والترك لما نهوا عنه ولذلك ابتلوا .

وقال مجاهد وقتادة : يؤذن المؤذن يوم القيامة فيسجد المؤمن ، وتصلب ظهور المنافقين ، فيصير سجود المسلمين حسرة على المنافقين وندامة .

وفى الخبر :" إنه تصير ظهور المنافقين كالسفافيد " [١]

والراجح فى تفسير قوله تعالى : [يوم يكشف عن ساق]

هو ما ذكره أئمة السلف - رضوان الله عليهم - فقد ورد فى تفسيرها حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :" يكشف ربنا عن ساقه " الحديث سبق ذكره .

وهو حديث صحيح رواه البخارى ومسلم من حديث أبى سعيد مرفوعا .

وهذه الآيه من الآيات المتشابهة التى يجب على كل مسلم ان يؤمن بها كما نزلت من غير تعطيل ولا تجسيم ، وكما قال - تعالى:عن نفسه:[ليس كمثله شيء وهو السميع البصير] [٢]

وقال : [قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد] [٣]

قال ابن تيمية :" ومن الايمان بالله ، الايمان بما وصف به نفسه فى كتابه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل يؤمنون بان الله - سبحانه - (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ،

---

(١) مسائل الرازى (ص٤٩٨) ، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن لأبى يحيى زكريا الانصارى ص (٥٧٧) تحقيق : الشيخ محمد على الصابونى - مكتبة الصابونى ط٢ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ، وجامع البيان فى متشابه القرآن د/ زكى ابو سريع (٤٠٥/٢) والسفاقيد : جمع السفود ، وهو الحديدة التى يشوى بها اللحم . (لسان العرب - مادة : سفد) .

(٢) سورة الشورى /١١ .

(٣) سورة الإخلاص .

ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يلحدون فى اسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه ، لإنه سبحانه وتعالى لا سمى له ، ولا كفء له ، ولا ند له .[١]

قال الإمام أحمد -رحمه الله - :" لا يوصف الله إلا من وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث " .

وقال نعيم بن حماد شيخ البخاري :" من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل " .

وخلاصة ما تقدم ان السلف - رضى الله عنهم - يؤمنون بكل ما أخبر به عنه رسوله - صلى الله عليه وسلم - إيمانا سالما من التحريف والتعطيل ، ومن التكييف والتمثيل ، ويجعلون الكلام فى ذات البارى وصفاته بابا واحدا ، فإن الكلام فى الصفات فرع الكلام فى الذات يحتذى فيه حذوه ، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف فكذلك إثبات الصفات .

وقد يعبرون عن ذلك بقولهم : (تمر كما جاءت بلا تأويل)

ومن لم يفهم كلامهم ظن أن غرضهم بهذه العبارة هو قراءة اللفظ دون التعرض للمعنى وهو باطل ، فإن المراد بالتأول المنفى هنا هو حقيقة المعنى وكنهه وكيفيته .[٢]وفى مختصر منهاج السنة وغيره من كتب العقيدة .

أن السلف - رضوان الله عليه - يثبتون لله ماأثبته لنفسه من الصفات ، وينفون عنه مماثلته للمخلوقات إثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تعطيل [ليس كمثله شيىء] رد على المشبهة ، وهو (السميع البصير) ردا على المعطلة ، والله - عزوجل- منزه عن مشاركة العبد فى خصائصه .[٢]

---

[١] شرح العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ٢٠للعلامة محمد خليل هراس ، عبدالرازق عفيفى ، تعليق الشيخ إسماعيل الانصارى - طبع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والرشاد - السعودية (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)

[٢] شرح العقيدة الواسطية ص (٢٤،٢٥) .

[٢] المنتقى من منهاج الأعتدال فى نقض كلام أهل الرفض والأعتزال لأبى عبدالله محمد بن عثمان الذهبى - وهو مختصر منهاج السنة لابن تيمية ص ٨٤ .ط : الرئاسة العامة للدعوة والارشاد الطبعة الثانية (١٤٠٩)هـ .ومجموع فتاوى شيخ الأسلام ابن تيمية - الأسماء والصفات (٥/٢٦،٢٧) ،(٥٨،٥٩) (٨٧،٨٩) ، (٦/٢١٥،٢١٦) وهو رأى الامام أحمد ابن حنبل ط : إدارة المساحة العسكرية بالقاهرة ١٤٠٤ ه . وقد درج على هذا من التابعين : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ،والقاسم بن =

وفي هذه الآية أثبت المولي - عز و جل -أن له ساقا ،و وصفه بذلك رسوله الكريم في حديثه الصحيح فنؤمن بما جاء به عن الله - سبحانه و تعالي - و عن رسوله - صلوات الله و سلامه عليه - نؤمن بذلك بلا تشبيه و لا تعطيل و لاتكييف .

وقد ذكر الامام الشوكانى الحق فى هذه المسألة فقال :

وقد أخرج البخارى وغيره عن أبى سعيد قال :" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول :" يكشف ربنا عن ساقه ...الحديث.

ثم قال :" وهذا الحديث ثابت من طرق فى الصحيحين وغيرهما ، وله ألفاظ فى بعضها طول وهو حديث مشهور معروف .

وأخرج ابن منده عن أبى هريرة فى الآية قال :" يكشف الله - عز وجل -عن ساقه " .

وأخرج عبدالرزاق وعبدبن حميد وابن منده عن ابن مسعود فى الآية قال :"يكشف عن ساقه - تبارك وتعالى - .

وأخرج أبو يعلى وابن جرير وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات وضعفة ابن عساكر عن أبى موسى عن النبى -صلى الله عليه وسلم - فى الآية قال :" عن نور عظيم فيخرون له سجدا " .

وأخرج الفريابى وسعيد ابن منصور وابن منده والبيهقى عن ابراهيم النخعى عن ابن عباس فى الآية قال :"يكشف عن امر عظيم " .

وقال ابن مسعود : يكشف عن ساقه فيسجد كل مؤمن ويقسو ظهر الكفار فيصير عظما واحد.

وقد أغنانا الله - سبحانه - فى تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما عرفت ، وذلك لا يستلزم تجسيما ولا تشبيها فليس كمثله شيىء .

= محمد ، وسالم بن عبد الله ،وطلحة بن عبيد ،وسليمان بن يسار وامثالهم من الطبقة الأولى كمجاهدوعطاء والحسن البصرى وابن سيرين وعامر الشعبى .

ومن الطبقة الثانية : على بن حسين وعمر بن عبدالعزيز ومالك بن أنس ، وابن الماجشون وحماد بن زيد ومحمد بن إدريس وأحمد بن حنبل ومحمد ابن إسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج القشيرى .

دعوا كل قول عند قول محمد .....فما امن به فى دينه كمخاطر .[١]

[فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون . واملى لـــهم إن كيدى متين][٢] .

الفاء لترتيب مابعدها من الامر على ما قبلها .

ومعنى : [فذرنى] أى حل بينى وبينه وكل امره إلى فأنا أكفيكه .

قال الزجاج : لا تشغل قلبك ، كله إلى أكفيك امره .

[ومن يكذب بهذا الحديث] يعنى : القرآن ، وتسميته حديثا لما فيه من الأخبار عن الله – تعالى – ومافيه من أخبار الأمم ، وأخبار المغيبات ، وقد سمى بذلك فى قوله – تعالى [فبأى حديث بعده يؤمنون] .[٣]

وقوله –تعالى – [أفمن هذا الحديث تعجبون . وتضحكون ولا تبكون . وأنتم سامدون] .[٤]

وقوله – تعالى – : [أفبهذا الحديث أنتم مدهنون] .[٥]

و هو تهديد شديد ،أي دعني و إياه مني و منه أنا أعلم به كيف أستدرجه و امـــده في غية وأنظره ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر " و كذلك أخذ ربك إذا أخذ القري و هي ظالمة إن أخذه أليم شديد)[٦] ..

و لهذا قال – تعالي – :[سنتدرجهم من حيث لا يعلمون][٧] أي : و هم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو في نفس الامر إهانة كما قال تعالي : [أيحســـبون أنما نمدهم به من مال و بنين : نسارع لهم في الخيرات .بل لا يشعرون] [٨]

---

[١] فتح القدير للشوكانى (٢٧٧/٥) وما بعدها .

[٢] الآيتان (٤٤،٤٥) من السورة الكريمة .

[٣] الآية المتممة لسورة المرسلات .

[٤] سورة النجم / (٥٩ :٦١).

[٥] سورة الواقعة /٨١ .

[٦] سورة هود /١٠٢

[٧] سورة الأعراف /١٨٢

[٨] سورة المؤمنون /٥٥،٥٦ .

و قال تعالي : [فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتي إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون][١]

والاستدراج : أن نأخذهم قليلا قليلا و لا نباغتهم و لهذا قال ههنا : [وأملي لهم إن كيدي متين] أي : و أؤخرهم و أنظرهم و امدهم و ذلك من كيدي و مكري بهم و لهذا قال [إن كيدي متين] أي عظيم لمن خالف امري ، و كذب رسلي ، و اجترأ علي معصيتي .

و في الصحيحين عن رسول الله - صلي الله عليه و سلم - إنه قال : " إن الله تعالي ليملي للظالم حتي إذا أخذته لم يفلته ، ثم قرأ : " و كذلك أخذ ربك إذا أخذ القري و هي ظالمة إن أخذه أليم شديد ".[٢]

يقول ابن القيم : " النعم ابتلاء من الله و امتحان يظهر بها شكر الشكور ، و كفر الكفور كما أن المحن بلوي منه -سبحانه - فهو يبتلي بالنعم كما يبتلي بالمصائب .

قال تعالي :[فاما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه و نعمه فيقول ربي أكرمن . واما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن. كلا][٣] أي : ليس كل من و سعت عليه و أكرمته ونعمته يكون ذلك إكراما مني له ، و لا كل من ضيقت رزقه و ابتليته يكون ذلك إهانة مني له " [٤] .

وقوله -سبحانه -: [فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون]هذه استعارة ، و لها نظائرها في القرآن الكريم منها :

قوله - تعالي -: [وذرني و المكذبين أولي النعمة و مهلهم قليلا][٥]

و قوله : [ذرني و من خلقت و حيدا] [٦] .

---

[١] سورة الأنعام /٤٤

[٢] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤٠٨).

[٣] سورة الفجر الآيات ١٥-١٧ .

[٤] الفوائد لابن القيم ص (٢٠٦).

[٥] سورة المزمل /١١ .

[٦] سورة المدثر /١١ .

و معني ذلك أن الكلام خرج علي مذهب للعرب معروف ، و غرض مقصود يقـــول قائلهم لمخاطبه إذا أراد تغليظ الوعيد لغيره : ذرني و فلان فستعلم ما أنزله به .

فالمراد إذن بهذا الخطاب النبي - صلي الله عليه و سلم - فكإنه - تعالي يقول لـــه : ذر عقابي و هؤلاء المكذبين ، أي اترك مسألتي في التخفيف عنهم ، و الابقاء عليهم ، لأن الله- سبحانه -لايجوز عليه المنع ، فيصبح معني قوله - تعالي ــ لنبيه ــ عليه السلام - : ذرني و كذا لإنه المالك لا ينازع ، و القادر لا يدافع . [١]

[أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون . أم عندهم الغيب فهم يكتبون] [٢]

اضراب آخر للانتقال إلي إبطال آخر من إبطال معاذيرهم في إعراضهم عن استجابة دعوة النبي - صلي الله عليه و سلم -المبتديء من قوله :[ما لكم كيف تحكمـــون أم لكـــم كتاب] [أم لكم أيمان] [أم لهم شركاء] [٣] .

والمعني في ذلك أنك يامحمد تدعوهم إلي الله - عز و جل - بلا أجر تأخذه بل ترَجـو ثواب ذلك عند الله - تعالي - و هم يكذبون بما جئتهم به . بمجرد الجهل و الكفر و العناد .

و المغرم : ما ينوب الانسان في ماله من ضرر لغير جناية منه أو خيانه [٤]

و المثقل : الذي حمل عليه من شيء ثقيل .

و قوله : [أم عندهم الغيب فهم يكتبون] .

إضراب آخر انتقل به من مدارك إبطال معاذير مفروضة لهم أن يتمسكوا ببعضـــها تعلة لإعراضهم عن قبول دعوة القرآن قطعا لمعاذيرهم ، وهو إبطـــال حجـــة مفروضـــة يستندون فيها إلي شيء من المعلومات المغيبات عن الناس و هي مما استأثر الله بعلمـــه ، و هو المعبر عنه بالغيب و الكلام هنا علي حذف مضاف ، أي عندهم علم الغيب كما قـــال - تعالي : [أعنده علم الغيب فهو يري][٦] .

---

[١] مجازات القرآن ص (٣٤٢) .

[٢] الآيتان ٤٦،٤٧ من السورة المباركة .

[٣] التحرير و التنوير (٩٢/١٤) .

[٤] مفردات غريب القرآن ص (٣٦٠) .

[٦] سورة النجم /٣٥ .

و تقديم [عندهم] علي المبتدأ و هو معرفة لافادة الاختصاص أي صار علم الغيب عندهم لا عند الله [١] .

[فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى ربه وهو مكظوم . لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم . فاجتباه ربه فجعله من الصالحين] [٢] .

الصبر : هو ترك الشكوى من الم البلوى لغير الله لا إلى الله . [٣]

والمعنى : يقول – تعالى [فاصبر] يا محمد على قومك وتكذيبهم لك ، فان الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولأتباعك فى الدنيا والآخرة .

والحكم هنا هو امهالهم وتأخير نصرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عليهم .

[ولا تكن كصاحب الحوت] يعنى ذا النون – وهو يونس بن متى – عليه السلام – حين ذهب مغاضبا على قومه فكان من أمره ما كان من ركوبه فى البحر ، والتقام الحوت له ، وشرود الحوت به فى البحار ، وظلمات غمرات اليم ، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلى القدير الذى لا يرد ما انفذه من التقدير فنادى فى الظلمات [أن لا إله الا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين][٤] قال الله تعالى :[فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين][٥] وقال تعالى : [فلولا إنه كان من المسبحين . للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون][٦] .

وقال ههنا : [إذ نادى وهو مكظوم]

---

[١] التحرير و التنوير (١٤/١٠٣) .

[٢] الايتان ٤٨ : ٥٠ .

[٣] التعريفات للجرجانى ص ١٧٢ تحقيق : إبراهيم الابيارى ط : دار الريان للتراث – د/ت . ، وبصائر ذوي التمييز للغير وزابادى (٣/٣٧٨)

[٤] سورة الأنبياء ٨٧.

[٥] سورة الأنبياء /٨٨ .

[٦] سورة الصافات / ١٤٣ ، ١٤٤ .

قال ابن عباس ومجاهد والسدى : وهو مغموم [١] .

وقيل : هو المملوء غيظا وكربا ، من كظم السقاء إذا ملأه .

قال قتادة : إن الله يعزى نبيه - صلى الله عليه وسلم - ويأمره بالصبر ، ولا يعجل كما عجل صاحب الحوت .

وقيل ان المكظوم المأخوذ بكظمه وهو مجرى النفس .

ومنه قول ذى الرمة :

وأنت من حب مى مضمر حزنا ... عانى الفؤاد قريح القلب مكظوم

[لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم] .

أى : لولا أن تدارك صاحب الحوت نعمة من الله وهى توفيقه للتوبة فتاب الله عليه [لنبذ بالعراء] أى لألقى من بطن الحوت على وجه الأرض الخالية من النبات .

[وهو مذموم] أى يذم ويلام بالذنب الذى اذنبه ويطرد من الرحمة .

قال الضحاك : النعمة هنا النبوة .

وقال سعيد بن جبير : عبادته التى سلفت .

وقال ابن زيد : هى نداؤه بقوله : لا اله الا انت سبحانك إنى كنت من الظالمين .

[فاجتباه ربه] أى استخلصه واصطفاه واختاره للنبوة [فجعله من الصالحين] الكاملين فى الصلاح ، وعصمه من الذنب .

وقيل : رد إليه النبوة وشفعه فى نفسه وفى قومه ، وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون[٢] .

[وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين] [٣]

---

[١] الدر المنثور فى التفسير بالماثور للسيوطى (٦/ ٤٠٢) .

[٢] فتح القدير للشوكانى (٥/٢٧٧) .

[٣] الآيتان ٥١، ٥٢ والمتممتان للسورة المباركة .

سبب نزول الآية الأولى :

قال الواحدى – رحمه الله تعالى – " قوله عز وجل : [وإن يكاد الذين كفروا] الآية نزلت حين أراد الكفار أن يعينوا [١] رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيصيبوه بالعين فنظر إليه قوم من قريش فقالوا : ما رأينا مثله ولا مثل حججه .

وكانت العين فى بنى أسد حتى ان الناقة السمينة تمر بأحدهم فيعينها ثم يقول : يا جارية خذى المكتل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر .

وقال الكلبى : كان الرجل يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به النعم فيقول : ما رعى اليوم إبل ولا غنم أحسن من هذه فما تذهب إلا قريبا حتى يسقط منها طائفة وعدة ، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله– – صلى الله عليه وسلم– بالعين ويفعل مثل ذلك ، فعصم الله – تعالى – نبيه وأنزل هذه الآية . [٢] .

يقول الإمام ابن كثير فى تفسير هذه الآية :

[وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم]

قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : [ليزلقونك] لينقذونك [بأبصارهم] أى يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته اياك منهم .

وفى هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتاثيرها حق بأمر الله – عز وجل – كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة أصحها :

عن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " لا رقية إلا من عين أو حمة " [٣] .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :– " العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا " [٤]

---

[١] أى يحسدوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأعينهم نحو " عنته اصبته بعينى ، وسفته أصبته بسيفى (مفردات غريب القرآن ص ٣٥٥) مادة عين ولسان العرب – مادة عين)

[٢] أسباب النزول للواحدى النيسابورى ص (٣٢٨) .

[٣] صحيح البخارى – كتاب الطب – باب : العين حق .

[٤] صحيح مسلم – كتاب السلام – باب الطب والمرض والرقى .

عن ابن سعيد أن جبريل - عليه السلام - أتى النبى - صلى الله عليه وسلم - " فقال اشتكيت يا محمد ، قال : نعم . قال : بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين تشنيك [١] والله يشفيك ، بسم الله أرقيك " [٢] .

عن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " كان يعوذ الحسن والحسين يقول : أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة " . ويقول : هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل - عليهما السلام . [٣]

أخرج البخارى عن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :" العين حق "

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن جابر ان النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : " العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر " .

وأخرج البراز عن جابر أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال :" أكثر من يموت من امتى بعد قضاء الله وقدره بالعين ". [٤]

وعن الحسن : " دواء الإصابة بالعين قراءة هذه الآية .

يقول الألوسى :" ولا يسعنى أن أنكر العين لكثرة الأحاديث الواردة فيها ، ومشاهدة آثارها على اختلاف الأعصار [٥]

وجملة : [وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك .... الآية .

معطوفة على جملة : (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث)

وفى هذه الآيه عرف الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - بعض ما تنطوى عليه نفوس المشركين نحو النبى - صلى الله عليه وسلم - من الحقد والغيظ واضمار الشر عندما يسمعون القرآن .

---

[١] تبغضك (لسان العرب - مادة - شنأ)

[٢] صحيح مسلم كتاب السلام - باب الطب والمرض والرقى .

[٣] صحيح البخارى - كتاب الطب - باب : العين حق .

[٤] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٩/٤) وما بعدها ، والدر المنثور (٤٠٣/٦) وتفسير القرطبى - الجامع لأحكام القرآن (٦٩٨١/١٠) .

[٥] روح المعانى للألوسى (٣١/٢٩) .

والزلق - بفتحتين - زلل الرجل من ملامسة الأرض من طين عليها ، أودهن ، ولما كان الزلق يفضى إلى السقوط غالبا أطلق الزلق وما يشتق منه على الأرض والا ندحاض على وجه الكناية .

ومنه قوله - تعالى - [ليزلقونك أى يسقطونك ويصرعونك] [١] .

وقرأ نافع وأبو جعفر " يزلقونك " - بفتح المثناة - مضارع زلق بفتح اللام [٢] يزلق وقرأ الباقون بضم المثناة .

[وإن] مخففة من الثقيلة .

و[يكاد] جاء بصيغة المضارع للدلالة على استمرار ذلك فى المستقبل .

واللام فى (ليزلقونك) لام الابتداء التى تدخل كثيرا فى خبر (إن) المكسورة وجاء فعل (سمعوا) ماضيا لوقوعه مع (لما) وللإشارة إلى إنه قد حصل منهم ذلك وليس مجرد فرض .

وضمير : (إنه لمجنون) عائد على النبى - صلى الله عليه وسلم - حكاية لكلام بينهم .

وفى قوله : [ويقولون إنه لمجنون] مع قوله فى أول السورة : [ما أنت بنعمة ربك بمجنون] محسن رد العجز على الصدر .

وقوله : [وما هو إلا ذكر للعالمين] .

الذكر : التذكير بالله والجزاء هو اسرف أنواع الكلام ، لأن فيه صلاح الناس . [٣]

وقد ورد لفظ الذكر فى القرآن الكريم على عشرين وجها :

الأول : ذكر اللسان [فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا] [٤] .

---

[١] التحرير والتنوير (١٠٨/١٤) .

[٢] شرح النظم الجامع لقراءة الامام نافع للشيخ عبد الفتاح القاضى ص (١٨٦) ط٢ ١٩٦١م نشر : المكتبة الإسلامية التجارية بطنطا - محمد حسن أبو العز .

[٣] التحرير والتنوير (١٤/ ١٠٩) .

[٤] سورة البقرة / ٢٠٠ .

الثانى : ذكر بالقلب [ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم][١] .

الثالث : بمعنى الوعظ [وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين][٢] .

الرابع : بمعنى التوراة [فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون][٣] .

الخامس : بمعنى القرآن [وهذا ذكر مبارك أنزلناه][٤] .

السادس : بمعنى اللوح المحفوظ [ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر][٥] .

السابع : بمعنى رسالة الرسول [أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم][٦] أى رسالة .

الثامن : بمعنى العبرة [أفنضرب عنكم الذكر صفحا] أى العبر[٧] .

التاسع : بمعنى الخبر [هذا ذكر من معى وذكر من قبلى][٨] .

العاشر: بمعنى الرسول [قد أنزلنا إليكم ذكرا رسولا][٩] .

الحادى عشر : بمعنى الشرف [وإنه لذكرك ولقومك] أى شرف[١٠] .

الثانى عشر : بمعنى التوبة [ذلك ذكرى للذاكرين] [١١]

الثالث عشر : بمعنى الصلوات الخمس [فاذكروا الله كما علمكم][١٢] .

---

[١] سورة آل عمران / ١٣٥ .
[٢] سورة الذاريات / ٥٥ .
[٣] سورة الانبياء / ٧
[٤] سورة الأنبياء / ٥٠ .
[٥] سورة الأنبياء / ١٠٥
[٦] سورة الأعراف / ٦١ .
[٧] سورة الزخرف / ٥
[٨] سورة الأنبياء /٢٤ .
[٩] سورة الطلاق / ١٠، ١١ .
[١٠] سورة الزخرف / ٤٤ ..
[١١] سورة هود / ١١٤ .
[١٢] سورة البقرة / ٢٣٩ .

الرابع عشر : بمعنى صلاة العصر خاصة [أحببت حب الخير عن ذكر ربى][١] .

الخامس عشر : بمعنى صلاة الجمعة [فاسعوا إلى ذكر الله][٢] .

السادس عشر : بمعنى العذر من التقصير [فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله][٣] .

السابع عشر : بمعنى الشفاعة [اذكرنى عند ربك][٤] .

الثامن عشر: بمعنى التوحيد [ومن أعرض عن ذكرى][٥] [ومن يعرض عن ذكر ربه][٦]

التاسع عشر بمعنى ذكر المنة [اذكر نعمتى عليك][٧] [اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم][٨]

العشرون : بمعنى الطاعة والخدمة [فاذكرونى أذكركم][٩] . أى اذكرونى بالطاعة اذكركم بالجنة .[١٠]

وقوله : [وما هو الا ذكر للعالمين] ابطال لقولهم : [إنه لمجنون] لإنهم قالوه فى سياق تكذيبهم بالقرآن

فإذا ثبت أن القرآن ذكر بطل أن يكون مبلغه مجنونا ، وهذا من قبيل الاحتباك

إذ التقدير : ويقولون إنه لمجنون ، وإن القرآن كلام مجنون ، وما القرآن إلا ذكر ، وما أنت إلا مذكر [١١] .

---

[١] سورة ص / ٢٢ .

[٢] سورة الجمعة / ٩ .

[٣] سورة النساء / ١٠٣ .

[٤] سورة يوسف / ٣٢ .

[٥] سورة طه / ١٢٤ .

[٦] سورة الجن / ١٧ .

[٧] سورة المائدة / ١١٠.

[٨] سورة البقرة / ٤٠ .

[٩] سورة البقرة / ١٥٢ .

[١٠] بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز (١٢/٢) للفيروز ابادى .

[١١] التحرير والتنوير (١٠٩/١٤)

والنبى – صلى الله عليه وسلم – شرف للعالمين – ايضا – شرفوا باتباعه والايمان به – صلى الله عليه وسلم – . [١]

ويقول زادة فى حاشيته على البيضاوى :

قوله [وما هو إلا ذكر للعالمين] وهوذكر عام للإنس والجن يتعظون به ، ويستنبطون منه صلاح أحوالهم المتعلقة بالدين والدنيا .

وفيه من الآداب والحكم ومن سائر العلوم ما لا حد له ولا حصر ، فمن يظهر مثل هذا الكلام ، ويتلوه ، ويدعو الناس إلى العمل بما فيه كيف يقال فى حقه إنه مجنون ؟

والحال إنه من أول الامور على كمال عقله ، وعلو شأنه ، فمن نسب إليه القصور فانما هو من جهله وخيبته فان الفضل لا يعرفه إلا ذووه .

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة ... فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر [٢]

وصلى الله على صاحب الخلق العظيم ، المبعوث رحمة للعالمين ، المتمم لمكارم الأخلاق ، صلوات الله وسلامه عليه – وعلى النبيين ، وآل كل وصحابتهم أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، " كلما ذكره الذاكرون . وغفل عن ذكره الغافلون " [٣] .

كتبه الراجى عفو ربه

د/ إسماعيل إسماعيل الربة

مدرس التفسير وعلوم القرآن

فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

---

[١] تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن (٦٩٨٣/١٠) .

[٢] حاشية محى الدين شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى (٤/ ٥٤٢) والشهاب على البيضاوى (٢٢٦/٨) .

[٣] الرسالة للامام المطلبى محمد بن إدريس الشافعى ص ١٦ . بتحقيق وشرح : احمد محمد شاكر – مكتبة دار التراث – القاهرة . ط٢ (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) .

مصادر ومراجع البحث بحسب ورودها فيه

القرآن الكريم ..... جل من أنزله

١-بستان العارفين للعالم الربانى الامام أبى زكريا شرف النـــووى (٦٣١-٦٧٦ هـــ) تقديم وتعليق / عبد المعز عبد الحميد الجزار من علماء الأزهـــر الشـــريف ــ مجلـــة الأزهر ــ ١٤٢١ هـــ .

٢ــ صحيح البخارى بحاشية السندى ــ طبع : دار إحياء الكتب العربية ــ فيصل عيســـى البابى الحلبى ــ بدون تاريخ .

٣ــ تفسير التحرير والتنوير لسماحة الأستاذ الإمام الشيخ / محمد الطاهر بن عاشـــور ــ طبع : دار سحنون للنشر والتوزيع ــ تونس ــ بدون تاريخ .

٤ــ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ــ ط : المساحة العسكرية بالقاهرة ١٤٠٤ هـــ

٥ــ نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للإمام المفسر برهان الدين أبى الحسن إبراهيـــم بن عمر الباقعى المتوفى سنة ٨٨٥ هـــ ــ ط : دار الكتاب افسلامى بالقـــاهرة ــ الطبعـــة الأولى (١٣٩٦ هـــ ــ ١٩٧٦ م) دائرة المعارف العثمانية .

٦ــ البحر المحيط فى التفسير لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلســـى الغرنـــاطى (٦٥٤ ــ ٧٥٤ هـــ) ط : دار الكتاب الإسلامى بالقاهرة ــ الطبعة الثانية (١٤١٣ هـــ ــ ١٩٩٢ م) .

٧ــ روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى للألوسى ــ طبع : مكتبة دار التراث ــ القاهة ــ بدون تاريخ .

٨ــ أسباب النزول للواحدى النيسابورى ــ طبع : مكتبة ابن أنس ١٤٠٠ هـــ .

٩ــ المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبد الحق بن غالب ابـــن عطيـــة الأندلسى ــ تحقيق المجلس العلمى بتارودانت ــ ١٤١١ هـــ ــ ١٩٩١ م .

١٠ــ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطى ــ ط : دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى (١٤١١ هـ ــ ١٩٩٠ م) .

١١ــ تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل عماد الدين : أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى ــ المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ــ طبع : مكتبة التراث الإسلامى (١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م) .

١٢ــ تسفير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل للإمام علاء الدين على ابن محمد البغدادى المتوفى سنة ٧٢٥ هـ ــ طبع : دار الفكر ــ بدون تاريخ .

١٣ ــ تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى ــ طبع : دار الغد العربى ــ الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ ــ ١٩٩٠ م) القاهرة .

١٤ــ الإتقان فى علوم القرآن ــ للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ــ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ــ دار التراث ــ القاهرة ــ الطبعة الثالثة (١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م) .

١٥ــ صفوة التفاسير للأستاذ الشيخ محمد على الصابونى .

١٦ــ فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن على الشوكانى ــ طبع : دار الفكر ــ ١٤٠٣ هـ .

١٧ــ فيض الرحمن فى تفسير سورة آل عمران د / إبراهيم عبد الحميد سلامة ١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٢ م .

١٨ــ الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ــ للإمام : محمود بن عمر الزمخشرى ــ المتوفى سنة ٥٢٨ هـ ــ طبع : دار الفكر ــ بدون تاريخ

١٩ــ لسان العرب ــ جمال الدين ابن منظر (٦٠٣ ــ ٧١١ هـ ــ ١٢٣٢ ــ ١٣١١ م) طبع : دار المعارف ــ القاهرة ــ بدون تاريخ .

٢٠ ــ مفاتيح الغيب ــ التفسير الكبير ــ للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التيمى البكرى الرازى الشافعى (٥٤٤ ــ ٦٠٤ هـ) طبع : دار الغد العربى ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ ــ ١٩٩١ م) .

٢١ــ تفسير البغوى ــ معالم التنزيل ــ محيى السنة : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى ــ تحقيق : محمد عبد الله النمر وآخرين ــ طبع : دار طيبة ــ الرياض ــ الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ) .

٢٢ــ فتح البارى ــ شرح صحيح البخارى ــ طبع المكتبة السلفية ١٤٠٧ هـ .

٢٣ــ التسهيل لعلوم التنزيل لأبى القاسم محمد بن أحمد ابن جزى الكلبى الغرناطى (٦٩٣ ــ ٧٤١ هـ) طبع : أم القرى للطباعة والنشر ــ بدون تاريخ .

٢٤ــ الفتوحات الإلهية لتوضيح الجلالين للدقائق الخفية ــ سليمان بن عمر العجيلى الشافعى ــ الشهير بالجمل ــ طبع عيسى البابى الحلبى وشركاه ــ بدون تاريخ .

٢٥ــ جامع البيان عن تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى ــ ط : دار الحديث ــ القاهرة (١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٧ م) .

٢٦ــ قانون الفكر الإسلامى ــ د / محمد عبد المنعم القيعى ــ طبع : دار الطباعة المحمدية ١٤١٠ هـ ــ ١٩٨١ م .

٢٧ــ الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للشيخ العلامة د / محمد بن محمد أبو شهبة ــ طبع : مكتبة السنة ــ الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ .

٢٨ــ بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى تحقيق الأستاذ / عبد العليم الطحاوى ، محمد على النجار ــ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ القاهرة (١٤١٢ هـ ــ ١٩٩٢ م) .

٢٩ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ــ محمد فؤاد عبد الباقى ــ مكتبة الغزالى بدون تاريخ .

٣٠ــ التبيان فى أقسام القرآن للعلامة شمس الدين محمد بن أبى أبى بكر المعوف بابن قيم الجوزية ــ طبع : مكتبة المتنبى ــ القاهرة ــ بدون تاريخ .

٣١ــ حاشية محى الدين شيخ زادة على تفسير القاضى البيضاوى ــ طبع : دار صادر بيروت ــ بدون تاريخ .

٣٢ــ سنن أبى داوود ــ للإمام أبى داود السجستانى (٢٠٢ ــ ٢٧٥) طبع : دار الفكر بيروت (١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م) .

٣٣ــ النكت والعيون ــ تفسير الماوردى لأبى الحسن الماوردى البصرى (٣٦٤ ــ ٤٥٠ هـ) مراجعة وتعليق : السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم ــ طبع : دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ بدون تاريخ) .

٣٤ــ صحيح الإمام مسلم ابن الحجاج لأبى الحسين ابن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى (٢٠٦ ــ ٢٦١ هـ) طبع : دار إحياء الكتب العربية ــ الحلبى ــ القاهرة ــ بدون تاريخ .

٣٥ــ الفوائد : لشمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية ــ تعليق : صابر يوسف ــ طبع : دار الصفا (١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م) .

٣٦ــ تفسير غريب القرآن لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ــ تحقيق : السيد أحمد صقر ــ طبع : دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ بدون تاريخ .

٣٧ــ المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ــ تحقيق : محمد سيد الكيلانى ــ طبع : دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان ــ بدون تاريخ .

٣٨ــ التبيان فى إعراب القرآن لأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى ــ طبع : دار الفكر الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٧ م) .

٣٩ــ تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين للإمام الحافظ : أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى المتوفى سنة (٣٢٧ هـ)

تحقيق : أسعد محمد الطيب ــ المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت ــ الطبعة الثانية (١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٩ م) .

٤٠ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل ــ لأبى عبد الله أحمد بن حنبل ــ طبع : مؤسسة قرطبة ترقيم ناصر الدين الألبانى ــ بدون تاريخ .

٤١ــ سنن الدارمى ــ لأبى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ــ طبع : دار الفكر ــ بيروت (١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ م) .

٤٢ــ لغات العرب الواردة فى القرآن الكريم ــ للإمام أبى عبيد القاسم بن سلام ــ المطبوع بهامش تفسير الجلالين ــ طبع : دار التراث ــ بدون تاريخ .

٤٣ــ أحكام القرآن لأبى بكر : محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى ــ تحقيق : على محمد البجاوى ــ طبع : دار الفكر ــ بدون تاريخ .

٤٤ــ تفسير النسفى ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ــ لأبى البركات : عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى الحنفى المتوفى سنة (٧٠١ هـ) طبع : دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبى ــ بدون تاريخ .

٤٥ــ غرائب آى التنزيل ــ للإمام زين الدين الرازى الحنفى المتوفى سنة (٦٦٦ هـ) تحقيق الشيخ إبراهيم عطوة عوض وجماعة من العلماء ــ مجلة الأزهر .

٤٦ــ جامع البيان فى متشابه القرآن ــ الدكتور / محمد أبو سريع ــ طبع : مطبعة الأخوة الأشقاء ــ الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ ــ ١٩٩٦ م) .

٤٧ــ الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ــ لأبى عبد الله الحسين بن محمد الدامغانى المتوفى سنة (٤٧٨ هـ ــ ١٠٨٥ م) طبع : وزارة الأوقات المصرية ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ لجنة إحياء التراث ــ تحقيق وتقديم : محمد حسن أبو العزم الزفيتى ــ القاهرة (١٤١٢ هـ ــ ١٩٩٢ م) .

٤٨ــ الأصلان فى علوم القرآن د / محمد عبد المنعم القيعى ــ طبع : دار الطباعة المحمدية الطبعة الثالثة (١٤٠٥ هـ ــ ١٩٩٤ م) .

٤٩ــ تلخيص البيان فى مجاز القرآن للشريف الرضى : تحقيق : محمد عبد الغنى حسن طبع : دار إحياء الكتب العربية ــ بدون تاريخ .

٥٠ــ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن ــ لأبى يحى زكريا الأنصارى ــ تحقيق الشيخ محمد على الصابونى ــ طبع : مكتبة الصابونى ــ الطبعة الثانية (١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥) .

٥١ــ شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (٦٦١ ــ ٧٢٨ هـ) للعلامة محمد خليل هراس ــ مراجعة عبد الرازق وعفيفى ــ تصحيح وتعليق : الشيخ إسماعيل الأنصارى ــ طبع : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ــ الرياض ــ المملكة العربية السعودية ــ(١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م) .

٥٢ــ المنتقى من منهاج الأعتدال فى نقص كلام أهل الرفض والاعتزال لأبى عبد الله محمد بن عثمان الذهبى ــ وهو مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية طبع : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ــ السعودية ــ الطبعة الثانية (١٤٠٩ هـ) .

٥٣ــ كتاب التعريفات للجرجانى ــ على بن محمد بن على (٧٤٠ ــ ٨١٦ هـ) تحقيق إبراهيم الأبيارى ــ طبع : دار الريان للتراث ــ بدون تاريخ .

٥٤ــ شرح النظم الجامع لقراءة الإمام نافع ــ للشيخ عبد الفتاح القاضى ــ نشر المكتبة الإسلامية التجارية بطنطا ــ محمد حسن أبو العز ــ الطبعة الثانية ١٩٦١ م .

٥٥ــ الرسالة للإمام المطلبى محمد بن إدريس الشافعى (١٥٠ ــ ٢٠٤) بتحقيق وشرح : ــ أحمد محمد شاكر ــ مكتبة دار التراث ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية (١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م) .

٥٦ــ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ــ للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ المكتبة العصرية ــ صيدا بيروت (بدون تاريخ) .